B-70

روايات أحلام

آن هامبسون

لمن يسهر القمر؟

فراشة المحبة

لمن يسهر القمر ـ آن هامبسون

في ليلة حضرتها الى روجر، تقدم بها العريس الأسمر بعرض زواج في ضوء القمر. ولورين التي تجعلت نداء قلبها عندما عرضه عليها نزوة عابرة وتناسته. لكن حادثة اختطاف شقيقتها التوأم أجبرها على إعادة حسابها. فإذا كان دون رامون يعتبرها جارية في قصره الواسع، وإذا كانت لورين تعتبر أنه حطم حياتها. فلمن إذن تبقى لياليه مسهدة ومن يسهر القمر؟

www.liilas.com

١ ـ في ضوء القمر!

كانت الحفلة في أوج نشاطها، والناس من علية المجتمع يرقصون. وكانت لورين واربي وروجر بوردن يحتفلان بخطوبتهما في عشاء راقص قدمته لهما والدة روجر وزوجها في منزلهما الفاخر. لورين كانت تلبس ثياب سهرة من الطراز الإدواردي من الشيفون والدانتيلا، وفي إصبعها خاتم خطبة ماسي لم تتخيّل نفسها أن تلبس مثله مثلما لم تتخيل أن تصبح يوماً زوجة لرجل ثري ومشهور ومن ذوي الألقاب.

والد لورين كان يقول أكثر من مرة:

ـ لو أن فيليس تستطيع تدبّر نفسها. لا أستطيع أن أفهم لماذا اختارك روجر في تلك الحفلة الساهرة، مع أن فيليس كانت هناك أيضاً!

فيليس هي شقيقة لورين التوأم، وأكبر منها بإثنتي عشر دقيقة وكانت المفضلة لدى أبيها. وترد عليه لورين بجدية:

ـ عندما أتزوج، ستلتقي فيليس بالعديد من الرجال امثال روجر، وتسارع فيليس بالقول:

ـ لا تلقي بالاً لما يقوله والدي، فأنا سعيدة مع ادوين.

فيليس وادوين كانا في الحفلة طبعاً، وعلى طاولة العشاء جلس الأربعة مع بعضهم وتبادلوا الحديث بسعادة. وكان ادوين يرسل نظراته الحميمة إلى فيليس، وروجر ولورين يتبادلان نفس النظرات من وقت إلى آخر.

وسألها روجر بنعومة:

ـ هل تشعرين بالسعادة مثلي يا عزيزتي؟

واجتذب السؤال عقل لورين من التفكير بشقيقتها وبخيبة أمل والدها لأن فيليس ليست هي من تحتفل بخطوبتها الليلة. كان والدها يعمل في مكان بعيد، وعلى الرغم من أن لورين كانت تشك بأنه قادر على الحضور إلى المنزل لهذه المناسبة الخاصة إلا أنه أبلغها أن حضوره مستحيل.

وردت على السؤال وهي تلتصق أكثر بروجر:

ـ طبعاً يا أعزّ الناس...

ـ بماذا تفكرين إذاً... وما أبعدك عني؟

ـ كنت أفكر بوالدي، وأتمنى لو أنه هنا!

ـ من سوء الحظ طبعاً.

وتوقف لحظة، وبلمحة قصيرة رأت لورين تقطيبة خفيفة وقد استقرت على وجهه الجميل، ثم تابع:

ـ بعض الأحيان يا عزيزتي يساورني بعض الشك عن رضاه على زواجك مني.

ولم تقل لورين شيئاً، وأصغت إلى الألحان الناعمة الحلوة

لموسيقى «الدانوب الأزرق» التي كانت تعزفها الأوركسترا في آخر القاعة الذهبية والعاجية الواسعة. كانت تفكر ملياً بما قاله روجر. وتتساءل عما إذا كانت في الحقيقة قد لاحظت لمحة من الغطرسة والكبرياء في صوته، أم أن الأمر محض خيال منها. ودارت الأفكار، وأصبحت تفكر بالعلاقة بين روجر ووالدها، فالاثنان ليس بينهما شيء مشترك والنتيجة كانت ان روجر كان نادراً ما يزور المنزل الشبه منعزل الذي تعيش فيه لورين لأنه لم يلاقِ الترحيب اللائق من الرجل الذي سيصبح عمه.

وقالت بعد هذا التوقف، متعمدة تغيير الموضوع:

ـ أشعر بالحرارة يا روجر، هل نخرج لنتنشق بعض الهواء النقي؟

وتحوّل صوتها إلى صمت مفاجيء عندما أدارت رأسها لتجد نفسها تحدق في وجه أسمر داكن لرجل من الواضح انه من أصل إسباني. وقد دخل لتوه الصالة وكان يقف عند المدخل القوسي الكبير، كتمثال جامد مع أنه حي. وكان من الواضح أنه يبحث عن شخص ما.

ووجدت نفسها تحدق في الوجه ذو السحر الذي لا يمكن سبر غوره. وكأنما فجأة شد اهتمامها به انتباهه. فأدار رأسه في اتجاهها وبدت عيناه، السوداء الحالكة، عبر تلك المسافة، وكأنها شقت طريقها إلى داخل روحها. مع أنها حاولت سحب نظرها عنه، إلا أن عيناها كانتا مسمرتين عليه، وكأنهما بفعل قطب مغناطيسي. ولاحظت تماماً أن الوجه الأسمر الطويل، والتجويف العميق تحت عظام الخدين، والخط البارز للذقن والأنف المدبب الطويل

www.liilas.com/vb

بفتحاته البارزة، كانت كلها قسمات مميزة كرسومات «آل غريكو» وتنفست قائلة:

- و... من هذا؟

وكانت مذهولة بالرعشة غير المريحة بداخلها والرنين المنطلق في مشاعرها، واحسّت بالشعر الذهبي في مقدمة رأسها يقف وكأنه ينذر بالخطر.. وأجابها روجر وهو ما يزال يمسك بيدها:

- إنه صديق أخي. لقد نسيت أن أقول لك انني أتوقع وصوله إلى العشاء. سآخذك للتعرف عليه.

وبدأ يشق طريقه بين الراقصين.

- ولكن...

وتوقفت، وبدا الأمر لا يصدق، فقد كانت على وشك ان تعترض، لعدم رغبتها في لقاء هذا الأسمر الغريب الذي لا تزال عيناه الجالبة للإرباك تحتجزان عيناها بنظرة هادئة مغناطيسية، وألقى عليها روجر نظرة سريعة متسائلة:

- هل هناك شيء؟

- لا شيء أبداً.

ومع ذلك فلم تكن قادرة على سحب نظرها عن الرجل وترك روجر يدها قائلاً:

- تعالي إذاً.

وأمسك بذراعها بينما كان يقترب من صديق أخيه وقال:

- لورين أقدم لك «دون رامون ادواردو دو كابريرا اي موليناء.

وقال الرجل:

- خطيبتك؟

وسكت لحظة قبل أن يضيف:

- أنا سعيد بلقائك، سنيوريتا!

وكان صوته الذي يحمل شيئاً من اللكنة مهذباً قليل التعجرف وجهه مثير للاهتمام. وأضاف:

- أهنئكما بالخطوبة.

ولكن، وبطريقة ما، شعرت لورين بنقص في الصدق في ...اته، وخاصة لدلالتها على التوتر، وللقسمات غير المبتسمة لهذا ...جل الطويل الذي يرتفع أطول من روجر بانشين أو ثلاثة، وبدا ...ول من روجر بانشين أو ثلاثة، وبدا أطول منها بطريقة ملفتة ...ظر. وأشار روجر بيده قائلاً:

- أخي موجود هناك. يرقص مع الآنسة الشابة ذات الثوب ...خضر. التي هي في الواقع الشقيقة التوأم لخطيبتي.

- شقيقتها التوأم؟ إذاً هناك إثنتان منكما. كم هذا مثير للاهتمام ...ب أن أقابل شقيقتك سنيوريتا.

وقطبت لورين ورمقت روجر، الذي بدا غير ملاحظ لأي شيء ...ر طبيعي عن الرجل. وقال:

- سوف أحضر بول وفيليس.

وابتسم مستأذناً وترك لورين مع دون رامون. ووجدت نفسها ...تلع ريقها صعوبة، محاولة إزالة شيء غير محدد يمنعها من

www.liilas.com/vb3

الكلام. وتكلم دون رامون على الفور وسألها عن المدة التي عرفت بها خطيبها، فأجابت وهي تتساءل عما إذا كان هذا هو صوتها حقيقة:

ـ منذ ستة أشهر.

ـ ستة أشهر؟

قالها مكرراً، بعد برهة فاصلة من التفكير. وعلمت دون شك أنه كان يحسب شيئاً، وكأنما يحاول تذكر ما كان يفعله في الوقت الذي تقابلت فيه هي مع روجر. وتعجبت من هذا الانطباع الغريب الذي تملكها! والأغرب، كانت تلك الرعشة غير المريحة التي مرت مرة أخرى خلال جسدها عندما رأت تلك الومضة غير المريحة في عينيه عندما سألها:

ـ ومتى سيتم الزفاف؟

وكانت عيناه تجولان على وجهها تتفحصان قسماته الكلاسيكية وجمال شعرها الذهبي الداكن وعيناها الرماديتين. وارتعش فمها الدقيق قليلاً بسبب العصبية التي أثرت بها. وكان ثوبها الذي يتناسب مع ثنايا جسدها الممتع تماماً، يكشف عن العنق، وبحركة مفاجئة من عينيه! ارتفع الدم بالحمرة إلى خديها. وارتفع حاجباه بابتسامة مريبة وهو يقول:

ـ هل أنت خجلة سنيوريتا؟ كم هذا مبهج فاتن.

ونظرت نحو المكان الذي رأت فيه آخر مرة شقيقتها ترقص مع بول نظرة مضطربة. وكان روجر معهما، كما لا حظت بارتياح، وستقابل فيليس هذا الرجل الإسباني بعد قليل. وراقبت

شقيقتها، وكان عليها أن تبتسم عندما لاحظت أن الرجل قد اجتذب فيليس كما حصل معها تماماً.

وأخذ يد فيليس بين يديه مسلماً، ولكنه لم يحتفظ بها كما فعل مع لورين. ووصل ادوين، وهذا ما جعل بول حراً. فذهب هو وصديقه الإسباني نحو غرفة الكوكتيل. وابتسم روجر وهو يأخذ لورين للرقص.

ـ حسناً... ما رأيك بضيفنا الإسباني؟

وأجابت بصراحة:

ـ لقد أثار اهتمامي، بول لم يذكره من قبل، على الأقل لا أذكر ذلك.

ـ إنهما شركاء عمل أكثر من اصدقاء. فدون رامون صناعي مليونير ومتحدر من أسرة نبيلة ذات لقب. جده الكبير لأمه كان دوقاً. على كل لنعد إلى علاقته ببول! فهو يمتلك عدة مصانع ومزارع كرمة واسعة تمتد على طول واد واسع. ويقول بول انه على الرغم من كونه رجل محافظ ومتغطرس، إلا أنه معجب به كثيراً ويتعامل معه في أعمال كثيرة. وكان بول ضيفاً عليه عدة مرات في قصر «دوكابرين» ويتحدث بول عن الأراضي الواسعة التي يطل عليها القصر في «السيرا». والحدائق الغناء والبرك المنتشرة على كل المستويات، والنوافير والتماثيل الرخامية والطرق الطويلة المظللة بالسرو المخصصة للتمشي، ربما في يوم ما سنقوم بزيارة له.

ونظر إليها ليعرف مدى تأثير قوله عليها. وأدرك أنها قد ضجرت قليلاً وان عيناها لم تكونا تبرقان كالمعتاد. ولم يلاحظ روجر

www.liilas.com/vb3

أي خفة في تصرفها بالمرة. وظهرت تقطيبة خفيفة بين عينيه وسألها بغتة:

ـ ألا يعجبك الدون رامون؟

وفاجأتها طريقة السؤال، ورمقته بنظرة مجفلة:

ـ ماذا يدفعك لهذا القول... روجر؟

ـ لا أعلم...

وفكر برهة وأضاف:

ـ لقد توقعت منك أن تظهري حماساً غير عادي لهذا الاقتراح.

وسألته لاكتساب الوقت:

ـ هل من الممكن أن نزور الدون فعلاً؟

ـ من الممكن بالطبع. فقد زاره بول من قبل، وما عليه سوى أن يذكر أمامه أنك تحبين مشاهدة قصره، وأنا متأكد أننا سنتلقى الدعوة للزيارة.

وهزّت كتفيها في إشارة قصدت بها أن توحي لخطيبها أنها تفضل أن لا تتابع هذا الحديث. ومع ذلك، وقبل أن تدرك ماذا تفعل، سألته عما إذا كان الدون متزوجاً، وقطبت للحظة بينما كانت تفكر بما دفعها لهذا السؤال.

ـ لا في الواقع، بول من رأيه أنه غير مهتم بعلاقة دائمة مع امرأة.

ـ مع أنه وسيم.

ومرة ثانية لم يكن لديها فكرة عما دفعها لهذا القول. ووافق معها روجر قائلاً:

ـ دون شك، هذه البشرة البرونزية وهذه القسمات اللاتينية.

ـ إنه يعيش في جو ارستقراطي، ولكن ربما كان ذلك بسبب نسبه العريق.

ـ إنه رجل من النبلاء، وهو يسير برشاقة من ولد رياضياً.

وقالت لورين وكأنما تكلم نفسها:

ـ في الواقع إنه مثال للكمال.

عند هذا، أبعدها روجر عنه وضحك في عينيها وقال مداعباً:

ـ أنت أكثر من مهتمة عادية بضيفنا الإسباني. تعليق آخر مثل هذا وسأجد نفسي أعاني آلام الغيرة.

وضحكت... ولكن أفكارها كانت تتحرك في دائرة، مبتعدة عن روجر ومتركزة على رجل آخر، رجل بقسمات لاتينية وعينان يجبران عيناها دون جهد على اللقاء.

بعد ساعة، وبعد أن رقصت مع بول وادوين، قررت لورين أن تخرج إلى الشرفة حيث كانت الطاولات منتشرة والمقاعد من حولها. ولسبب ما تمنت لورين بعض الوقت لوحدها، وعندما فكرت بهذه الرغبة افترضت أنها أمر طبيعي، لأن تأثير هذه الأمسية كان يدفع إلى الملل. التهاني من كل الضيوف الوافدين، ونظرات الحسد التي لا ريب فيها من الفتيات اللواتي كن تحلمن بأن يصبحن زوجة لواحد من أكثر العزاب صلاحاً في البلد ونظرات الإعجاب من الرجال وتعليقاتهم المطرية لجمالها. كل هذا، مع أنه مثير للسرور، كان لزاماً أن يؤثر عليها. وقررت أن الجو المنعزل في الحديقة سيكون أفضل من جو الشرفة، الذي تعرف أنه سيجرها إلى التحدث مع شخص ما.

www.liilas.com/vb3

ابتعدت عن المنزل، ووجدت مقعداً في مكان ظليل لطيف مليء بعطر الزهور. وجلست وهي تأخذ نفساً عميقاً. مستلقية إلى الخلف على الأغصان الصلبة التي صنع منها المقعد البسيط. كان الهواء ناعماً حلواً يفوق الوصف. وقبة السماء الواسعة ينتشر فيها مزيج من ضوء القمر ووميض النجوم والمخمل الأرجواني. وكانت الحديقة وكأنها اغتسلت بطوفان من الفضة، وقد تلفحت بالصمت. وغلبها النعاس وقد هدهدها صوت النغمات الحالمة التي تنبعث من النوافذ المفتوحة في المنزل.

وتمتمت وهي تتنشق انفاسها برضى:

ـ آه.. كم أنا سعيدة، لا أعرف كيف لفتّ نظر روجر من بين كل الفتيات في تلك الحفلة الراقصة...

وفجأة تيبّست في مكانها، وقد سمعت وقع أقدام ثابتة على الرغم من هدوئها على الممر المرصوف بالحصى على بعد خطوات حيث كانت تجلس. وذهلت من خروج الكلمات من بين شفتيها «دون رامون» حتى قبل أن تراه.

ـ سنيوريتا.. هل استطيع الجلوس قربك؟

جاءها الصوت ناعماً لطيفاً كالعناق، وقطبت جبينها بقوة لهذه الفكرة. والتقطت أنفاسها مترددة، مع إدراكها التام للبراعة اللافتة في هذا الرجل الذي يقف قربها وقد انحنى فوقها.

ـ أنا... أنا...

وتلعثمت وهي تفتش عن عذر تقدمه لعدم موافقتها على مشاركته لها المقعد:

ـ كنت أرغب ببعض الهدوء.

قالتها كحجة ضعيفة، على أمل أن لا تبدو فظة. ولكنها شعرت بالتأكيد أنها لم تكن لبقة بالمرة. ولكن دون رامون لم يأخذ كلماتها على محمل الهجوم ولا ظهر عليه أنه صدم بردها. وقال بنفس اللهجة الرقيقة:

ـ لن أزعج هدوءك، سنيوريتا، فأنا نفسي أرغب في الجلوس صامتاً.

ولمست تقطيبة جبينها. فدون رامون هو آخر شخص ممكن أن تختاره لتمضي معه استراحة صامتة. وستشعر معه بالتيقظ والاضطراب لأنه يمتلك ذلك الجو من الثقة بالنفس والتفوّق. وجالت بأفكارها لتجد عذراً لإبعاده، ولكنها سرعان ما أدركت أن الأمر يوجب عليها أن تكون مسرورة وودية مع شريك شقيق زوجها.

ـ حسناً سنيور.

ولكنها على الفور تقريباً أضافت قبل أن يتمكن من الجلوس قربها:

ـ ولكنني أفضل أن أتمشى، إذا لم يكن لديك مانع؟

وصمت، وزم شفتيه بسخرية وقال:

ـ إذا كان هذا ما تفضلين سنيوريتا.

ونهضت وهي تشعر برجولة دون رامون وبالجو الرومانسي الذي يلف المكان كله: العريشة المنعزلة، الانعكاس المثير للقمر على صفحة البركة الرائعة عن بعد، والظلال البسيطة المتناسقة

www.liilas.com/vb3

للضوء والظل في تلك الناحية من الحديقة حيث تتحرك أوراق الشجر في النسمات الصامتة.

ـ أوه.. هل نسير هناك قرب البركة؟

هل ارتعشت شفتاه، أم أنها تخيّلت ذلك؟ وكان رده بلهجة دون تعبير:

ـ سيكون ذلك من دواعي سروري.

وخرجت لورين من تحت العريشة وتبع خطواتها، وبعد فترة من الصمت قال:

ـ لقد التقيت شقيقتك. إنها ليست مثلك.

ـ ليست مثلي؟ أنا وهي متشابهتان، ومن لا يعرفنا جيداً لا يتمكن من التفريق بيننا.

فقال بلطف:

ـ أنا لا أشير إلى المظهر الجسدي. إنها الشخصية التي أعني.

ـ أخشى أنني لم أفهمك.

قالتها بلهجة باردة متحدية، فمن الواضح أنه كان يقارن بشكل غير مناسب بينها وبين شقيقتها. وسارع إلى القول:

ـ أرجوك لا تأخذي الأمر بعدائية، سنيوريتا، فأنا لم أتحدث عن شقيقتك بطريقة تحط من قدرها.

ـ إذاً ماذا تعني بالضبط؟

ـ لقد لاحظت شخصيتين مختلفتين تماماً.

وهزّت رأسها لهذا القول وأجابت:

ـ إن شخصيتينا متشابهتان.

وتوقف دون رامون عن السير، وكان على لورين أن تتوقف

أيضاً. كانا يسيران على شاطىء البركة، ولكنهما كانا قد وصلا إلى عريشة صغيرة ترتفع وسطها شجرة كبيرة وحول الشجرة مقعد. وكانت لورين وخطيبها يأتيان غالباً إلى هناك لتمضية بعض الأوقات بعيداً عن العائلة.

وقال دون رامون مفكراً:

ـ شخصيتان متشابهتان! اخبريني عن شخصيتك سنيوريتا!

والتفت نحو المقعد ودعاها للجلوس:

ـ هل نجلس؟

وتوقفت مترددة:

ـ أظن أنني يجب أن أعود..

ـ لا، ليس بعد.

وكانت لهجته آمرة رغم رقتها، ووجدت لورين نفسها تسعل بعصبية لتنظيف حنجرتها قبل الكلام:

ـ لا أظن...

وتهدج صوتها تحت سيطرة سواد عينيه المحدقتين بعينيها بنظرة ثاقبة. ما هي هذه القوة التي يملكها؟ هذه القوة التي بدأت فعلاً تؤثر على قرارها بالعودة إلى المنزل؟ مع ذلك، لا يجب عليها أن تبقى مع هذا الرجل هنا! لا.. لا يجب!

ـ سوف يستفقدوني، سنيور، يجب أن تفهم أنه ليس من اللائق أن أبقى بعيداً عن الضيوف لهذه المدة.

وأجاب بهدوء:

ـ لم يمضِ عليك سوى دقائق في الخارج. سنيوريتا، لقد شاهدتك تغادرين القاعة، لذلك أعرف الوقت تماماً.

www.liilas.com/vb3

ـ هل كنت تراقبني؟

ـ منذ اللحظة التي التقت فيها عيوننا عبر الغرفة.

وهزّت رأسها بذهول. بالكاد تعرف كيف تتصرف إزاء هذا الوضع الذي هبط عليها. لقد شعرت، عميقاً في نفسها إن هذا الإسباني الأسمر الخطر لن تكون معرفته مجرّد عابرة دون أن تلتقيه بعد الآن، بل سيكون له تأثير على حياتها له مفعول طويل المدى. فكرت بإسهاب بهذه الخواطر، ومال تفكيرها فوراً لصرف النظر عنها. فالرجل لا يمكن أن يؤثر على حياتها؟ فمن الواضح أنه يقصد العبث ومن دواعي سروره أن يعود إلى منزله وقد غازل فتاة مخطوبة لرجل آخر وفي نفس حفلة خطوبتها! ووجدت الأمر لا يطاق، حتى الرجل نفسه لا يطاق، وقررت أنه من الأفضل أن توقفه عند هذا الحد.

ـ أجد اهتمامك مسلياً سنيور.

ـ مسلياً؟

ولاح في أعماق عينيه بريق فيه خطورة، وأضاف:

ـ هل لي أن استفسر، سنيوريتا، عما إذا كنت تسخرين مني؟

ـ ربما أكون كذلك.

ـ أنت تأخذين موقفاً خطيراً.

وشعرت بالإحباط، عندما وقعت عيناها تحت التأثير المباشر لنظرته المحدقة. واستطرد:

ـ أنا لست بالرجل الذي يقبل بالسخرية منه من أي كان...

وليس من امرأة بالتأكيد.

وقالت له بتعبير جامد:

ـ لقد نسيت يا سنيور أنك أنت قد تسببت بهذا.

وبرقت عيناه، وهو ينظر إلى أبعد من وجهها. وسألها أخيراً:

ـ بأية طريقة؟

ولأنها لم تستطع أن تقول بصراحة أنها تعتبره يتودد إليها، هزّت كتفيها بنفاذ صبر وقالت مضيفة عن قصد نبرة من الضجر إلى صوتها:

ـ ألا تستطيع إيجاد موضوع غير شخصي للنقاش سنيور، بينما نسير عائدين إلى البيت؟

ـ إننا لن نعود إلى البيت الآن، اجلسي سنيوريتا ولنتحدث لبضع دقائق.

وبدأت تهز رأسها، ثم توقفت. واختلطت أفكارها وارتبكت وهي تنظر إليه في حيرة. ووقف بطوله واستقامته وضوء القمر على وجهه. ومن حوله النسيم المعطر ومنظر الحديقة الهادئة، والأشجار تموج بهدوء وأوراقها متلونة بفضة مسروقة من القمر. وكان كمن ينتظر، وتكلم أخيراً طالباً منها الجلوس مرة أخرى وصوته يحمل كل درجات الجدية. فلماذا هو واثق هكذا؟ ولماذا يجب عليها أن تكون مسلوبة الإرادة؟ لتقول دون تردّد أنها ستعود إلى المنزل؟ وكأنما هي بالفعل تريد أن تبقى هنا مع هذا الغريب الأسمر... أم أن الأمر هكذا حقاً؟

الشكوك صدمتها. وجلبت لها شعوراً أكيداً بالخوف المفاجىء، وأدركت أنه يجب أن تهرب منه، ولكنها بدلاً من ذلك وجدت نفسها تتفوه بكلمات بدت وكأنها تخرج دون إرادتها:

www.liilas.com/vb

- لا بأس... إذا كنت تريد الجلوس والتحدث برهة.

وجلس إلى جوارها مديراً رأسه الأسمر حتى يستطيع مراقبة جانب وجهها، وقالت بصوت مرتعش:

- لا أستطيع البقاء طويلاً. فقط خمس دقائق.

وأحسّت بتوتر غريب، وتقلّص حول قلبها. لقد كانت تلعب بالنار ولكن على الرغم من أن الأمر أزعجها كثيراً فقد كانت غير قادرة على أن تقوم بأية مقاومة أمام جاذبية الرجل الجالس صامتاً بقربها. وكررت قولها متظاهرة بالشجاعة:

- خمس دقائق فقط، بعدها يجب أن أذهب.

- يبدو أنك لا تتمتعين برفقتي.

- لم أرافقك لمدة طويلة لأعرف ما إذا كنت أتمتع أم لا.

وأجاب بهدوء:

- في هذه الحالة، سنبقى هنا حتى تتأكدي.

وتوترت أعصابها، فتيقظت، وبكل أعصابها المرتعدة حاولت الوقوف، ولكن يداً على معصمها منعتها من ذلك، وجلست دون مقاومة. ولكن لمجرد لحظة، وبجهد مفاجىء وقوي سحبت يدها من قبضته ووقفت على قدميها. وقالت ببرود:

- سنيور، هل تسمح؟ اعذرني يجب أن أعود إلى خطيبي.

ووقف دون رامون، وقفة من يضبط اعصابه. وكان هناك شيء ما حوله يحيرها ويوتر أعصابها. فقد بدا وكأنه يعتزم القيام بعمل ما، وهو منتصب فوقها، ينظر إلى وجهها بتعبير غامض، ولم يقل سوى:

- إذا كانت هذه رغبتك، سنيوريتا.

وقطبت جبينها وتذكّرت أن هذا الرجل هو شريك لشقيق زوجها، ولن يسامحها بول لفظاظتها معه. وبدأت تقول وقد شاب صوتها خضوع لم تلحظه:

- أنا آسفة إن كنت أزعجتك، ستفهم بالتأكيد انني لا أستطيع البقاء معك، في... في...

وتوقفت فجأة عن الكلام، واحمرت وجنتاها وأملت أن لا يخمن ما كانت تنوي قوله. ولكن وأسفاه على آمالها! فقد سمعته يقول ونبرة السخرية في صوته:

- في ضوء القمر... سنيوريتا؟

- أنت تسيء فهمي عن قصد.

وأجابها بهدوء:

- لا أظن هذا... إنه فعلاً وضع رومانسي، أليس كذلك؟

وارتدى طابع صوته نوعاً من التسلية، فقالت له بلهجة تعمدت أن تكون مركزة:

- دون رامون، يبدو أنك نسيت أنني سوف أتزوّج روجر بعد فترة قصيرة، وبأنك ضيف في منزله، وبأنك مدعو إلى حفلة خطوبتنا.

وردّ عليها بصوت ملىء بالمشاعر:

- أنسى أنك مخطوبة؟ لا يا سنيوريتا. من غير المعقول أن أنسى. على كل استطيع أن آخذ ما أشتهيته منذ لحظة أن وقعت عيناي عليك!

www.liilas.com

وقبل أن تدرك حتى ما ينوي أن يفعله، وجدت نفسها بين ذراعيه ولم يكن بمقدورها التخلص، وقاومته بشجاعة، ولفها الخجل والشعور بالذنب لعلمها بضعفها. وتورد وجهها، فأطلق ضحكة انتصار مزقت هدوء الجو، ونظر إلى عينيها الحزينتين بقوة. وجدت متنفساً لغضبها بأن تضرب صدره بقبضتها وصرخت:

- اتركني أيها المخلوق المقرف! سيرميك روجر إلى الخارج لفعلتك هذه.

- وهل ستخبرينه؟

- بالطبع سأخبره.

وحاولت تحرير نفسها، لتهرب منه. ولكن قبضته على رسغيها كانت كفكي الكماشة وبدأ يهز رأسه قائلاً:

- لن تخبري خطيبك بهذا أبداً!

وأصبحت لهجته قاسية فجأة، ومليئة بالانفعال. وحدقت في وجهه الأسمر وارتعدت، فقد كان التعبير عليه مليئاً بالشر.

- لا يا سنيوريتا ستبقين صامتة حول هذا الفاصل الرومانسي.

والتقت عيناها بعينيه واستحوذتا عليهما بحيث أصبحت دون إرادة.

- إنه سرّ بيننا سنيوريتا، إنه سر بيني وبينك!

- أظن أنك مجنون!

وبرقت عيناه.

- مجنون.. سنيوريتا؟

- اتركني!

وحاولت مرة اخرى تحرير يديها منه. ولكنه شد قبضته حتى صرخت من الألم. وتمتم:

- لنعد الكرة مرة أخرى.

وعاد تعبير الانتصار إلى عينيه واقترب وجهه من وجهها، ولكنها فرت منه، فأمسك بها بقساوة فأصبحت مرة أخرى غير قادرة على الهرب، وعلمت علم اليقين مدى قدرته على السيطرة عليها.

وهمست عندما أمسك بها على بعد ذراعيه:

- اتركني.

وأطلق ضحكة منخفضة وقال لها بتهكم وإصرار:

- أنت راضية بالبقاء معي...

وبالرغم من إنكار سريع اندفع إلى شفتيها إلا أنه لم يتم، لأنها لم تستطع أن تقول له إنه كاذب. وكان الدم يندفع في كل شرايين وجهها لمجرد التفكير انها قد تكون راضية فعلاً بالبقاء معه. وأدارت وجهها نحو الظلام وسألت نفسها عن هذا الجاذب الذي يدفعها إليه؟ فهي تستطيع أن تصرخ، أو تدافع عن نفسها بضراوة بحيث يضطر إلى تركها! ولكنها لم تفعل شيئاً، ولم يكن لديها الرغبة لتفعل. وهمست:

- يجب أن أعود إلى المنزل... إلى الضيوف؟

- وإلى خطيبك؟

وبدا صوته مرة أخرى قاسياً، ولكنه تغيّر بعد ذلك عندما سألها بعد توقف قصير:

- هل تستطيعين أن تقولي إنك تريدين فعلاً العودة إلى المنزل؟

وهزّت رأسها بالإيجاب، ولكن بضعف وقالت:

www.liilas.com/vb3

ـ يجب أن أذهب.

فقال ساخراً:

ـ وهل ستخبرين روجر المسكين بالأمر؟ هل تعتقدين أنك قادرة؟

ـ روجر المسكين؟ ماذا تعني بذلك؟

ـ أنت لا تحبينه!

وصرخت بارتياع:

ـ بالتأكيد أحبه! بأية وقاحة متغطرسة تستطيع قول شيء كهذا؟

ورد عليها بهدوء:

ـ من تجاوبك معي سنيوريتا!

ـ أنت... لقد فرضت عليّ ذلك بالقوة...

وتهدج صوتها وهي تشعر بالعار. فلماذا تحتج وهي تعلم أن عذرها هذا بحاجة للدعم؟ وضحك بنعومة ومرّر يده على شعرها الحريري وقال:

ـ لقد استمعتِ. بنفس القدر الذي استمتعت به أنا. لذلك كوني صادقة مع نفسك سنيوريتا. واعترفي أنك لا تحبين ذلك الرجل الذي وافقت على الزواج منه.

ـ بل أحبه! أنا أعرف أنني أحبه!

واكتست شفتاه بابتسامة ساخرة وسألها:

ـ من تحاولي أن تقنعي؟

وأخذ خصلة من شعرها وجذبها إلى الخلف وأجبرها أن تنظر إلى وجهه. ماذا يفعل هذا الرجل بها؟ إن قدرته على السيطرة لا يملكها إنسان، بل شيطان؟ واستمر يقول:

ـ أتحاولين إقناع نفسك أم إقناعي سنيوريتا؟

ـ أنا أعرف أنني أحبه! أنا متأكدة من ذلك!

ـ لقد كنت متأكدة، حتى التقيت بي.

ولم تقل شيئاً، ولكنه أضاف بعد فترة من الصمت:

ـ لم تعودي متأكدة أبداً. فهناك شكوك رهيبة تملأ رأسك هذه اللحظات. وأنتِ محتارة ومرتبكة. أنت ترغبين بي سنيوريتا!

ـ كيف تجرؤ على قول مثل هذا الافتراض؟

وزم شفتيه مجدداً:

ـ مسكينة يا لورين!

ـ لا تتجرأ مرة أخرى على دعوتي باسمي الأول.

ـ مسكينة يا لورين! أنت خائفة مني، ولكنك خائفة من نفسك أكثر. فأنت راغبة في البقاء معي هنا، ولكن الحذر يحثّك على وضع مسافة بيني وبينك قدر المستطاع.

وتوقفت للحظات ولكنها لم تتكلم.

ـ ابقي معي يا حبيبتي...

ـ أنا لست حبيبتك!

ودون أن تخطىء مضامين ما تفعل، وقد اجتاحها الغضب، رفعت يدها لتصفعه، ولكنه أمسك يدها بقوة مسيطرة، ووضعها خلف ظهرها وأجبرها على إبقائها هناك على الرغم من معرفته إنه يؤذيها. وقال محذراً:

ـ لقد كان هذا عمل غير حكيم سنيوريتا! لو كنت نجحت بفعلتك هذه لاضطررت عندها أن أعاقبك.

www.liilas.com/vb3

٢. عرض في ليلة الخطوبة

واحمر لونها. واستدارت، متمنية لو أن القمر كان أقل إشعاعاً. لأنه كان من الواضح من التعليقات التي أطلقها أنه كان يلاحظ أي تعبير يظهر عليها. وقالت بصوت فقد قوته:

ـ هل ستتركني أذهب؟

وتمتم مجيباً بحرارة على رجائها:

ـ نعم... ربما من الأفضل أن نعود.. أنت وأنا كان مقدراً علينا أن نلتقي. ومقدر علينا أن نكون أكثر من معارف.

مرت لحظة صمت، ولم تحاول أن تتكلم، وهي ترغب فقط أن تتركه يكمل كلامه حتى تستطيع العودة بأسرع وقت ممكن.

ـ هناك قول قديم عند شعب «المور» الذين انحدرت أسرتي منهم. «الأقدار تجمع، والأقدار تفرق، فلا يتدخل احد».

ـ وماذا يعني هذا؟

ـ إنه يعني أن من يحارب الأقدار إنما يجازف بالفشل.

وأخبرته لورين ان قدرها هو الزواج من الرجل المخطوبة له وأضافت:

ـ إنني أحبه، ولا يهم ما تقول، فأنا أحبه فعلاً.

ـ لا يا لورين. أنت لا تحبينه، ولأبرهن لك هذا سأحتضنك مرة أخرى وسترين أنك تتجاوبين معي.

ـ لن أفعل!

وقابل كلامها بضحكة خفيفة وخلال ثوانٍ وجدت نفسها بين ذراعيه، وحاولت التغلب عليه قليلاً، وأن تسحب بعض القوة التي تستطيع أن تقاوم الرجل. ولم تظهر المعجزة، ووجدت نفسها مرة أخرى تستجيب له. ولم تعرف أنها استجابت هكذا من قبل. لم تتجاوب مع روجر لا طعم له مثل التجاوب مع هذا الإسباني. وبعد برهة قصيرة ابعدها عنه ونظر إليها بانتصار، وعيناه الداكنتان تنظران إلى وجهها المحمر. وسقطت همسة من فمها، همسة رقيقة مثل ضوء القمر المشع على التلال النائمة.

ـ رامون...

ـ نعم...؟

كان يطلب منها أن تقول إنها تحبه. لقد كان الاقتناع يفعل بها كما يفعل بها الماء البارد، وجذبت نفسها من بين يديه وهزّت رأسها وكأنما تزيح عنه ذكرى، ذكرى تصرفها المشين. وصدمها الواقع. فمنذ وقت قصير جداً كانت ترقص مع خطيبها، ويستقبلها الوردي مؤمّن... ولكن.... الآن.. ونظرت إليه، ثم أبعدت نظرها مجاهدة إيقاف الاضطراب الذي اعتراها. وشعرت بالألم والجفاف في حلقها:

ـ أنا... أنا...

www.liilas.com
فراشة أحبه

وتوقفت، لأنها لم تدرِ ماذا تقول له. كانت ترى خطوة جانبية تشتد وعرفت أنه كان يكتم الضحك.

ـ مرة أخرى تخلّت عنك القدرة على التعبير، لورين.

ـ أنت كريه!

ـ احتجاجات... وكم هي ضعيفة ودون معنى. من المؤكد أنك لن تستمري في إتمام هذا الزواج؟ فلن يمكن له أن ينجح و....

ـ لا تتكلم بهذا الهراء! طبعاً سأستمر في إتمامه!

ـ كان يجب أن نلتقي من قبل. لماذا يجب أن يحدث هذا الآن، في وقت تحتفلين بخطوبتك لرجل آخر؟

ـ أنا عائدة..

وبدأت السير مبتعدة، ولحق بها بخطوات إلى جانبها حتى وصلا إلى الشرفة، فتركها وعاد إلى الحديقة الهادئة.

وسمعت صوت حماتها العتيدة تقول:

ـ لورين أين كنت؟ هل هناك شيء يا عزيزتي؟

ـ لا، لا شيء، لقد أحسست بالحرارة وبعض الإرهاق، فذهبت لأتمشى قليلاً.

ـ لقد كانت أمسية متعبة لك يا عزيزتي، تعالي يا لورين إلى غرفتي وستتمتع بدقيقتين من الهدوء لتشرب قهوتي الشهية المذاق.

فابتسمت لورين وقد عادت لها ثقتها، وأخذت يد حماتها وسمحت لها أن تقودها إلى جناحها الرائع. حيث تناولت معها القهوة بالحليب. وقالت لورين وهي تسترخي على المقعد:

ـ هل لاحظ روجر غيبتي؟

ـ لقد تساءلنا جميعاً أين كنت. ولكن لا تقلقي فقد شاهدنا روجر ونحن ندخل إلى هنا. لقد أشرت له وعرف بأنني سأتركك تستريحين بعض الوقت معي.

وعضّت لورين شفتيها لهذا اللطف، وقد شعرت بالملامة على نفسها...

ـ شكراً لك، لقد تمتعت بهذه الحفلة، ولكنني أتمنى أن تنتهي.

ـ أعرف تماماً ما تشعرين به. لقد مررت بهذا، تذكّري.

ـ نعم، أنا أبدو قليلة الامتنان.

ـ أبداً، سنحبك، عزيزتي لورين، وأعرف أن روجر لن يندم أبداً على طلبك للزواج.

وعضت لورين شفتها مرة اخرى، وتمنت لو أن قلبها وفكرها لم يكونا بهذا الاضطراب. وأكثر من أي شيء، تمنّت لو أنها تعود ساعة إلى الوراء، حتى لا تخرج إلى الحديقة أبداً. وما نفع أفكار كهذه؟ فما حدث قد حدث ولا شيء في الدنيا قادر على تغييره. ونظرت إلى حماتها العتيدة، وشاهدت الابتسامة على شفتيها، وعيناها اللطيفتين المتفهمتين، ولم تتمالك أن تخفض عينيها، وتتساءل ما قد تكون ردة فعل المرأة لو أنها اعترفت اعترافاً كاملاً، بإخبارها ما حدث في الحديقة المضاءة بنور القمر، وروجر... ماذا ستكون ردة فعله؟ وشعرت لورين أنها خائنة، ولا تستأهل المركز الذي ستحصل عليه في هذه العائلة الارستقراطية. هذه العائلة التي تعرف ماضيها المتواضع نسبياً، ومع ذلك لم تظهر أية إشارة للاحتجاج عندما أتى بها روجر إلى المنزل ليقول لهم انه ينوي أن يجعلها زوجته.

www.liilas.com/vb3

وجاءها سؤال بعد عشر دقائق.

ـ أتشعرين الآن بتحسن؟

وهزّت لورين رأسها بالإيجاب، ولكنها كانت لا تزال تفكر بدون رامون، وتتساءل عما إذا كان سيضايقها مرة أخرى. وأقبل خطيبها إليها حالما دخلت غرفة الرقص، وكان على وجهه مسحة قلق:

ـ هل أنت بخير يا حبيبتي؟

وفجأة أحسّت لورين أنها لا تريد شيئاً أكثر من أن تكون بين ذراعيه وأن تشعر بالراحة بإلقاء رأسها على صدره.

ـ نعم... ولكن هل تمانع في أن نجلس في مكان هادىء؟

ـ أي شيء تريدينه يا حبي.

وذهبا إلى أحد الزوايا وجلسا ممسكين بأيدي بعضهما بصمت. ومع ذلك كان في داخل لورين نوع من الخوف، وعكست عيناها الجميلتين قلقها.

وهمست:

ـ أحبك يا روجر.

وأمام العنف في لهجتها التفت إليها فجأة لينظر إلى وجهها متسائلاً:

ـ ولكنني أعرف هذا يا أعز الناس.

ـ ومع ذلك ألا تريد سماعها تكراراً؟

وكان في صوتها رجاء وتعلق. وأجابها روجر:

ـ طبعاً يا حبيبتي.. إنها كالموسيقى في أذني.

وتنهدت وكافحت بعنف لتطرد صورة الإسباني من ذهنها. وقال روجر أخيراً:

ـ أظن يا حبيبتي، انه يجب علينا أن نعود إلى ضيوفنا.

وهزّت رأسها بالإيجاب، وبعد قليل كانا يرقصان. روجر مع إحدى صديقاته السابقات ولورين مع ادوين. وقال لها ادوين:

ـ تبدين شاحبة وتعبة.

ـ أنت تعرف بالتأكيد أنه لا يجب أن تقول لامرأة انها تعبة؟

ـ فضحك وقال:

ـ أنا كتلة من الصدق، لورين.

ـ وأنا أعزك لهذا. ألم تكن حفلة رائعة؟

ـ بل في منتهى الروعة، أنا وفيليس لن نحصل على حفلة مثلها أبداً.

ـ وهل هذا يهم حقيقة؟

ـ لا، من المفترض أن لا يكون.

وأجبرتها قوة ما أن تتبع اتجاه عينيه، فوجدت نفسها تنظر إلى حيث رامون، كان يقف في نهاية القاعة يتحدث إلى فيليس وقالت:

ـ إنه صديق بول، أو بالأحرى شريك عمل. إنه من الأندلس.

ـ أرض عبدة الأصنام، هذا ما كانوا يدعونها. تلك المنطقة الواسعة المتوحشة من إسبانيا. لقد كانت قديماً معقلاً للمسلمين. هل تعلمين أي قسم منها يسكن؟

ـ إيبيريا... لديه هناك كروم عنب، ولكنه يعمل بالتجارة أيضاً.

www.liilas.com/vb3

ـ أستطيع أن أقول انه ثري للطريقة التي يجمّل بها نفسه. فتخمة المال وحدها تعطي المرء تلك الثقة بالنفس والجو من التفوق.

ـ إنه صناعي مليونير.

وتعمدت أن تنظر بعيداً عندما رأت دون رامون يدير رأسه باتجاهها. واجتذبها أدوين ليتجنب راقصين كانا سيصطدمان بهم، وهو يقول:

ـ الشيطان المحظوظ!

وتطلعت إليه بدهشة، ولم يكن لديها شك هذه المرة حول الاستياء الذي غمر صوته. فهل كان ادوين يحسد من لديه الممتلكات الدنيوية الأكثر منه؟ وشعرت لورين بالقلق الغامض وخيبة الأمل لهذه الفكرة.

وتوقفت الموسيقى، وقاد ادوين رفيقته إلى حافة حلبة الرقص واعتذر منها منصرفاً لتبقى وحدها، ولكن لا لمدة طويلة.

ـ إذاً... ها نحن معاً مرة أخرى.

قال الإسباني هذا بلطف وأخذها بين ذراعيه في اللحظة التي فتحت فمها لترفض دعوته إلى الرقص.

ـ لورين... يا جميلتي...

ـ أنا لست جميلتك!

وقررت أن تتبنى تصرفاً بارداً معه منذ البداية.

ـ أنت تتحدث بأسخف طريقة، سنيور.

ونظر إليها، وتساءلت عما إذا كان يقرأ ما كان يجول في خاطرها.

ـ في هذه الحالة لنغير الموضوع، سنتحدث عن شقيقتك!

ـ شقيقتي؟ لماذا؟

ـ لأنني أظن أنك يجب أن تعرفي أنها تشعر بالحسد منك.

واتسعت عينا لورين واتقدتا بالنار:

ـ كيف تجرؤ على قول شيء كهذا؟ إنه ليس فقط أمر مناف للعقل بل افتراء أيضاً!

ـ إنها الحقيقة، سنيوريتا.

واتجه بها الدون إلى منتصف الحلبة، وكان رقصه رائعاً. وعلى الرغم من انشغال لورين بما قاله، لم تستطع أن تتجاهل تحديقات العديد من الضيوف بينما كانت هي ودون رامون، وخطواتهما في توافق تام، يبرزان بطريقة رائعة عن كل الراقصين، ولكن الدون لم يكن يلاحظ الاهتمام الذي أثاره.

ـ إنها ليست الحقيقة.

ـ من الطبيعي أن إخلاصك يمنعك من تقبل الحقيقة.

كان يقول هذا وهو يقودها بحركات مقصودة نحو الخارج.

ـ لن أذهب إلى الخارج، إذا كنت ستراقصني فافعل، ولكن عندما تتوقف الموسيقى يجب أن أعود لخطيبي.

وضحك ضحكة خفيفة، ولكن دون مرح.

ـ يجب أن أتحدث معك سنيوريتا. سنجلس هناك على الشرفة، وبما أن هناك أناس حولنا فأنت آمنة.

وأدركت أنها لا تستطيع الرفض دون إثارة ضجة، لأن الدون كان قد أمسك بذراعها بشدة وقادها فعلاً إلى الخارج. وجلست

www.liilas.com/vb3

بغضب، متمنية مرة أخرى أن تنتهي هذه الأمسية. ولكن هل ستشعر كما شعرت أول مرة مرة أخرى؟ لقد فعل بها هذا الرجل شيئاً سيترك تأثيراً على أفكارها للأبد. وشعرت بالثقة، بأنها سترى وجهه بطريقة منتظمة عبر السنين عندما تتزوج وحتى عندما يصبح عندها عائلتها الصغيرة تنمو من حولها. وقالت له وهي تدفع بالهدوء إلى صوتها مع أنها كانت بعيدة عن الشعور بالهدوء:

ـ ماذا هناك سنيور؟

ـ إنها شقيقتك...

ـ دعنا لا نتحدث عن فيليس.

ـ تصرفك معي لا يليق بسيدة. أجد طباعك مؤسفة، ولمعلوماتك أقول إن هذه الطباع لا يمكن التسامح بها لدى سيدة في بلادي.

وتغير لونها قليلاً، ونظرت باتجاه مارلين، إحدى شقيقات روجر، التي كانت تتحدث مع زوج أمها. واستلفت انتباهها بسعلة صغيرة.

ـ لا أظن أنك تستطيع مقارنة نساء بلادي بنساء بلادك، سنيور. لقد سمعت أنهن خاضعات لما يدعى تفوّق الرجال.

ـ ما يدعى؟

ـ أنت واقع دون شك تحت تأثير رأي يقول انك متفوق.

لقد وجدت نفسها في وضع متردد، فهي تريد من ناحية اختصار الحوار فوراً، ولكن من ناحية أخرى كانت تميل إلى توبيخ الإسباني.

وقال لها:

ـ هل نعود إلى مسألة شقيقتك؟ أنا احذرك سنيوريتا، لأنني أشعر أنه من المهم أن تعلمي. فشقيقتك تكنّ لك كل الأفكار الغيورة السيئة، لأنك ستصبحين زوجة رجل ثري، وهي لا تأمل أبداً أن تكون متساوية معك في المركز، وهي تطيل التفكر بأنك وهي ستتحركان في اتجاهين مختلفين تماماً من أجواء المجتمع، لذلك....

وقاطعته لورين:

ـ دون رامون. لا أستطيع السماح لك بمتابعة الحديث. لقد قلت ما رغبت به فهل نستطيع الآن العودة إلى قاعة الرقص؟

ـ يجب أن تحذري.

ـ لقد كنا دوماً أفضل صديقتين. لا أستطيع التفكير بما أوحى لك بهذه الفكرة، ولكنها فكرة خاطئة حتماً، فهي ليست بهذه الطباع. لا أحب أبداً أن يكون لديك هذا الانطباع حول شقيقتي، لقد كنا مقربتين جداً على الدوام ولم تحسد إحدانا الأخرى أبداً. كنا نساعد بعضنا، ونتمشى مع بعضنا... لا يجب أبداً أن تفكر بمثل هذه الأشياء حول فيليس.

ونظر إليها مباشرة وعيناه لا تزالان قاسيتان.

ـ لدي موهبة بقراءة الشخصيات. قد تكون أختك كل ما ذكرتي، حتى مؤخراً، ولكن الآن....

وصمت بينما ظهرت فيليس تسير تحت الشرفة تماماً مع أدوين ثم تابع بعد أن ابتعدا.

ـ نعم حتى مؤخراً، ولكن فكرة أن تصبحي ثرية ولك لقب، فهذا ما تغار شقيقتك منه. احذري لورين! هل تسمعين؟

www.liilas.com/vb3

كان كمن يتحدث لأخته، أو حتى لزوجته، ولكن بالتأكيد ليس لغريبة تماماً عنه. فقالت له ببرود:

ـ أجد أن تصرفاتك صحيحة جداً، وليس لدي النية بأن آخذ منك الأوامر، سنيور، وخاصة هذا النوع من الأوامر!

ـ أنا لا أعطيك أوامر، نصائح فقط، ونصائح جيدة.

ـ لا تلزمني.

ـ ستشعرين بالندم على عدم الإصغاء لي سنيوريتا.

ـ أنا أعرف شقيقتي وأنت لا تعرفها.

ـ لقد قابلتها وتحدثت إليها هذا المساء.

ـ وهل هذه مدة كافية لتكوّن رأياً عنها؟

ـ بل هو وقت كاف...

وهزّت كتفيها ونهضت من مقعدها. وقالت:

ـ لنرجع إلى الداخل.

ـ لا يا لورين... دعينا نسير في الحديقة مرة اخرى، يجب أن أتحدث إليك...

ـ لقد تحدثت معك للتو... حول شيء امتعضت منه.

ـ هذا شيء مختلف.. لقد وجدت حبي.. ويجب أن أكلمك حول ما في أفكاري.

وشعرت بقلبها يميل بين ضلوعها، ورغبة بأن تستدير وتهرب... ولكن كل ما فعلته أن وقفت هناك. منتظرة أن تسمع ما لا تعرفه. كانت تلاحظ عيون الناس على الطاولات القريبة. عيون كانت تنتقل بريبة من وجهها إلى وجه ذلك الرجل الواقف أمامها.

ـ سنيور.

ـ نعم.

ـ أنا.... نحن...

ـ تعالي لنذهب من هنا.

وتكلم بنعومة، وعلمت أنه يرغب في أن يمد يده ليأخذ يدها، ولكنه امتنع، وبعد لحظة من التردد هزّت رأسها بالقبول واستدارا وتركا الشرفة. كان هذا جنوناً، ونظرت إلى الخلف وكأنما تريد أن تهرب منه. وقالت له عندما أصبحا بعيدين عن المنزل:

ـ دون رامون، هذا كله خطأ.

ـ إنه مخيف لك قليلاً، ولكن لا تقلقي. عندما تسمعين ما أقوله لك ستشعرين بالراحة.

ولم تقل شيئاً، ومع ذلك ذهبت معه دون اعتراض عندما أخذها إلى اعتم مكان في الحديقة. ولم يكن يصل إلى أسماعها هناك صوت، لأن المسافة تبعد عن المنزل كثيراً بحيث أصوات الأوركسترا لم تعد تسمع وقالت لنفسها مرة اخرى إن هذا جنون، وإنها خلال ساعة ستندم على ضعفها، ولكنها لم تقم بأية حركة عندما جذبها بلطف إليه واحتضنها.

ـ هذا... غلط! إنه أكثر من غلط، إنه تصرف شرير!

ـ إنه القدر، وليس مقدراً لك أن تتزوجي روجر...

ـ سأتزوجه! آه.. لماذا أتيت هنا الليلة، وبما أنك أتيت لماذا كان عليك اختياري أنا من بين كل النساء الموجودات؟ شقيقتي...

www.liilas.com/vb3

ـ هل تظنين أنني قد اختار شقيقتك، لو لم اختارك؟

ولم تجب، لم يكن لديها الرغبة للتكلم بالمرة، لأنها شعرت فجأة بأنها قد استنزفت، وتمنّت لو أنها في البيت ترقد بسلام على الفراش. وهذا الرجل؟ تمنّت لو أنه يرجع إلى بلاده بحيث لا يعود قادراً على فرض سلطته عليها، وحيث ينساها. وكمن قرأ أفكارها لأنه قال دون إنذار:

ـ ستبقين في أفكاري إلى الأبد يا لورين، لم أقابل امرأة من قبل رغبت فيها بهذه الطريقة التي أرغب بك. وأنا عادة أحصل على ما أريد. نعم احصل عادة على ما أريد.

ـ لن تحصل عليّ.. فأنا أنوي أن اتزوج روجر..

ـ بعد كل الذي حصل؟ لن تتزوجيه أبداً، لورين، أبداً!

ونظرت إليه بسرعة وصدمت بشيء غير عادي في طباعه.

ـ لقد قلت منذ لحظات أنني عندما أسمع ما ستقول سيرتاح بالي؟

وهزّ دون رامون رأسه بالإيجاب.

ـ لقد قلت، عندما تكلمنا سابقاً، إن من دواعي الأسف أننا لم نلتقِ من قبل. ومن سوء الحظ أن يكون اللقاء الآن، عندما تحتفلين بخطوبتك لرجل آخر، على كل، لم يفت الوقت بعد لحسن الحظ. تستطيعين أن تقولي لهذا الرجل الذي ارتبطت به انك قابلت رجلاً آخر وبهذا تنفسخ الخطوبة.

وتطلعت إلى قسماته اللاتينية وقررت أنه من الأسهل عليها أن تتركه يقول ما يريد، على الرغم من أنها مصممة على عدم

الإصغاء، ولكنها كانت غير مستعدة أبداً لعرض آخر بالزواج، لم تكن حتى تتوقعه، خاصة في ضوء ما قيل عنه انه غير مهتم بالدخول في شراكة دائمة مع امرأة. وعاد إلى الحديث:

ـ حالياً أستطيع أن أمنحك أكثر بكثير من روجر، إضافة إلى أنني أعرض عليك ما لم أعرضه على امرأة من قبل... الزواج....

ـ الزواج... الزواج...!

ـ لقد سمعت جيداً سنيوريتا، أستطيع فهم دهشتك، خاصة في ضوء هذا العرض الذي قدمته. ولكن، خلال الساعتين الماضيتين، كنت أراقبك طوال الوقت وتملكني شعور بأنني لا أستطيع العيش دونك، أريدك زوجة لي، لورين.

وتطلعت إليه دون أن تنبس بكلمة، محاولة استيعاب الواقع الذي لا يصدق بأنه يريدها زوجة له.

زوجته... وبينما كان مجرى تفكيرها يصبح أكثر وضوحاً وجدت نفسها تتجاوب معه، ومع قوة ذراعيه من حولها، فأعلنت الاستسلام. استسلام جعلها في مملكة الخيال التي لم تعرفها أبداً مع روجر.

زوجته.. إنها لحظة حاسمة، مليئة بمشاعر الخيال! دون رامون ادوارد دوكابريرا أي مولينا يطلب منها أن تصبح زوجته! هل من الممكن هذا؟

وبقيت لفترة طويلة صامتة، وأفكارها مضطربة، بينما كانت تفكر أولاً بروجر ثم بدون رامون. ماذا عليها أن تفعل؟ يجب أن

www.liilas.com/vb3

تقاوم، وأن تفعل ما هو صواب. فهذا الرجل هو غريب عنها، ولا تعلم شيئاً عنه بالمرة...

وقاطع أفكارها عندما بدأ يتحدث ثانية، ليقول مرة ثانية إنه يعرض عليها ما لم يعرضه على امرأة من قبل. «يجب أن تشعري بالشرف الكبير لأنني أعرض عليك الزواج» وتعجبت من التغيير في لهجته، ومن غرور الرجل فيه! كما تعجبت تماماً من التصريح الجاف والرسمي بأن عليها أن تشعر بالشرف لعرضه هذا! كم هو مخلوق متغطرس! حسناً، لقد نجح في إزالة ترددها، ولهذا الأمر شعرت بالامتنان له. وقبل أن يكون لها فرصة للكلام تحدث قائلاً بنفس اللهجة الهادئة الدمثة «كان مقدراً لنا أن نلتقي، وأن نتزوج، لورين. لذا هل ستستمرين في مقاومة رغباتك الطبيعية، وهل ستنكرين بعناد ما دبره القدر لك. ستندمين ما تبقى من حياتك إذا فعلتي. فذكرى ما ستتخلين عنه ستبقى، كبقايا الحريق في فمك».

وتطلعت لورين إلى عينيه السوداوين، ومرّت رعشة في كل جسدها. هل نبؤاته صحيحة؟ وهل سيأتي عليها يوم تندم فيه على القرار الذي ستأخذه الآن وقالت لنفسها انه على خطأ، وانها يجب أن تعيش حياتها كما خططت قبل أن يدخل حياتها ليمزقها. ولكن كيف ستقول له هذا؟ وقررت أن تخفف الصدمة عليه، على الرغم من أنها تعرف أن لا سبب يدفعها إلى ذلك. فمن المؤكد أنه لا يستحق أي مراعاة لشعوره، بل على العكس، فقد يفيده أن يعاني بعض الإذلال. فقد يخفف هذا من علبائه، ومع ذلك فقد مالت إلى تخفيف الصدمة عليه.

- تبدو جاداً، سنيور، ولكن بالطبع من المستحيل أن تكون. إذا لم يكن هناك شيء آخر لتقوله، ألا تظن أننا يجب أن نعود إلى المنزل؟

- سنيوريتا، أنا جاد.

- لا، لا يمكن أن تكون. دعنا نعود، وأعدك أن لا أقول شيئاً عن هذا لخطيبي، هذا إذا وعدتني أن لا تعاكسني مرة أخرى، أبداً.

وأملت أن يبدو صوتها هادئاً ولطيفاً. لقد كانت تريد أن تؤثر عليه فذكرت أنها لم تعتبر عرضه اكثر من مزحة. على كل لم يكن رده سوى ضحكة ناعمة... ضحكة واثقة! ووقفت لورين دون حراك، وهي مدركة تماماً قربه منها، وأنها إذا حاولت أن تتحرك سوف يظهر تفوقه ويجبرها أن تبقى حيث هي. ولكن دون رامون تحرّك، وظنت أنه استجاب لطلبها وبدأت تتمشى إلى جانبه عندما استدار ليغادر المكان. ثم توقفت، واستطاعت عندها أن تشاهد وجهه في ضوء القمر، وشعرت أن مشاعره قد اختلطت، إذ بينما هو واثق من أنها في النهاية ستقبل عرضه، كان من ناحية اخرى غير واثق منها. وقال لها أخيراً:

- أنت لم تردي عليّ، سنيوريتا، لقد أكدت لك إخلاصي، وأريدك زوجة لي. ستتزوج خلال الأسبوع....

- أرجوك... أنت تتكلم بالهراء سنيور.

- غير صحيح.

- أنا مخطوبة لروجر، وأنوي الزواج منه. لماذا، أنا حتى لا أعرفك! ما نوع الرجال أنت، حتى تعتبر أن الأمر مفروغ منه لأن

www.liilas.com/vb3

أفسخ خطوبتي مع رجل أحبه، وأهرب مع غريب، أجنبيّ التقيته لتوّي؟ تقول إنك تفرض عليّ الزواج. ولكنني لا أصدقك. وحتى لو صدقتك، فلن أتزوج رجلاً مثلك أبداً!

ـ هذه إهانة، سنيوريتا!

ـ لقد تسببت بها، سنيور.

ـ هل هذه كلمتك النهائية؟ ستتحدين الوقائع وتتزوجين ذلك الرجل الذي لا تحبينه؟

ـ أنا أحبه. لا يبدو عليك أنك قادر على تقبل هذا الواقع.

ـ لا أتقبله، وأنت تعرفين بنفسك أنك لا تحبينه!

ـ أنوي الزواج منه.

ـ هل هذه كلمتك الأخيرة؟

وعندما هزّت رأسها بالإيجاب، لم يتردد لحظة وتقدم نحوها وجذبها نحو صدره في عناق وحشي. وقاومته لورين بقوة. وقبضتاها الصغيرتان تضربان صدره. وصرخت عندما أفلتها أخيراً:

ـ أتركني! أوه.. أيها المخلوق المقرف! سأخبر روجر بهذا قطعاً.

ـ أشك في هذا، فأنا عادة آخذ ما أريد، سنيوريتا!

وعندما أفلتها، وقف يراقبها تخرج منديلاً لتفرك فمها بقوة. كان يبدو وكأنه طيف من الماضي، هذا الرجل من الأندلس تلك البلاد التي احتضن سكانها شيئاً ما من كل أمة ناجحة غزتهم. وتذكرت لورين أن تلك البلاد غزاها الوثنيون ثم المسيحيون

والآخرون، والعديد من اللغات تداخلت في الأندلس وأن هناك العديد من الفروقات ما بين هؤلاء الناس في الجنوب والإسبانيين العائدين في الأجزاء الأخرى من البلاد. وقال لها:

ـ تقولين إنك لا تعرفينني. ولكن الوقت لا معنى له عندما يتدخل القدر في حياتنا. وهاقد التقينا، وإذا تجاهلتِ ما خططه القدر لك، فيجب أن تكوني مستعدة لتقبل النتائج، فهل أنت مستعدة؟

وشعرت بأن اللون قد غادر وجهها، ولكنها تماسكت بالقوة التي ساعدتها على اتخاذ قرارها.

ـ أنا مستعدة، سنيور.

ـ إذاً فلتكن النتائج على رأسك.

وألقى عليها تحية المساء بجفاء وغادرها إلى داخل الحديقة. واستندت إلى شجرة، تراقب طيفه الطويل إلى أن توارى عن الأنظار.

ـ شكراً لله لقد ذهب!

وشقت طريقها عائدة إلى المنزل، وإلى خطيبها الذي كان ينتظرها على الشرفة.

www.liilas.com/vb3

٣ ـ الاختطاف

وصلت لورين كالعادة من عملها عند الخامسة والنصف بعد الظهر، وكان والدها يصل قبلها بربع ساعة، وشقيقتها بعدها بربع ساعة، ولخمس سنوات من الآن كان الثلاثة لوحدهم، فقد توفيت الوالدة بعد أيام قليلة من عيدها الخمسين. وبادرها والدها بالقول:

ـ لقد وضعت اللحم على المشواة، ولكن تبقى هناك الخضار.

ـ نعم، سأحضر الخضار.

كانت لورين منزعجة من تغيّر تصرف والدها نحوها، لأنهما كانوا حتى مؤخراً سعداء معاً، عائلة متماسكة على الرغم من تفضيله لشقيقتها فيليس. وبعد ثلاثة أرباع الساعة قال الوالد:

ـ لقد تأخرت فيليس، ماذا حدث لها؟

ـ إنها الباصات، عندما كنت عائدة إلى البيت كانت مزدحمة.

ولكن عندما تغادر فيليس عملها تكون الحال أسوأ.

ـ ستغادرنا قريباً، لورين، مسكينة فيليس ستضطر إلى المضي في العمل حتى بعد أن تتزوج.

واستدارت لورين لتذهب إلى المطبخ لتلقي نظرة على الخضار

التي كانت تغلي على الطباخ الكهربائي. وتمنّت لو أن فيليس حصل في يوم ما على حياة أسهل بطريقة ما كما هي الحال لها. وتمتمت لنفسها وهي تضع وعاء الطبخ على صينية لتحملها إلى غرفة الطعام.

ـ أشعر بعقدة الذنب، ليس من سبب لأن أشعر هكذا، ولكني أشعر به.

ستصبح ذات لقب، وستختلط بأشخاص مثل زوجها وعائلته وأصدقائه. فيليس وأدوين، من الناحية الثانية، سيكونان محظوظان إذا استطاعا دفع عربون منزل يماثل الذي تعيشان به الآن. لقد اشترى روجر منزلاً جميلاً يقع ضمن حديقة مساحتها سبعة عشر فداناً من الحقول والأشجار، وتجري ساقية على طول حدود أرضه، ويمكن رؤية تلال «ولش» الجميلة من الجانبين.

ودخل والدها إلى المطبخ، وقد بدا القلق على وجهه وقال:

ـ أين يمكن أن تكون فيليس ذهبت؟ لم تعتد التأخّر هكذا!!

ـ ونظرت لورين إلى ساعتها ووافقت معه، وقالت إنها ستتصل بصديقة فيليس، مريام اولدهام، التي تسكن على بعد بضع دقائق سيراً منها.

ـ ربما تكون قد ذهبت لزيارتها أثناء عودتها إلى المنزل.

ـ لا تزور أحداً أثناء عودتها، عادة. سيحضر أدوين إلى هنا بعد نصف ساعة وهي تعرف أنه لا يحب أن ينتظرها لتحضر نفسها، فهما ذاهبان إلى السينما.

ـ أعلم ذلك، ولكنني سأتصل بها على كل حال يا والدي، حتى أتأكد.

www.liilas.com
مكتبة ليلاس

ولم تكن مريام قد شاهدت فيليس منذ الليلة الماضية وقالت:

ـ أراهن أنها عالقة في عجقة السير. فازدحام الباصات مريع في هذا الوقت من النهار.

وقال والدها وهو يذرع الغرفة، وعيناه تتطلعان إلى الساعة على الحائط تكراراً:

ـ كنت أعرف أنها ليست عند مريام، ربما حصل لها شيء!

ـ لم يمض ساعة على تأخرها...

ساعة. لقد تأخرت فعلاً، ولم تعد لورين تتقبل فكرة ان ازدحام السير هو الذي يؤخرها. وحدق بها قائلاً:

ـ ساعة! لقد حصل لها حادث ما، لورين! ألا ترين أنه قد حصل لها حادث!

وكأنما تأخير فيليس كان مسؤوليتها، وأصبح مشغول البال. وأصابها الرعب عندما رأته يضع يده على قلبه.

ـ هل بك شيء يا أبي؟

ـ وعاودتها الذكرى، عن كيفية حدوث نوبة قلبية لأمها وكيف توفيت بعد ساعة من إدخالها إلى المستشفى.

ـ صحتي ليست على ما يرام. لم أكن كما يجب. منذ أسابيع.

ـ ولماذا لم تقل لنا؟ حبيبي، يجب أن ترى طبيباً. لن أذهب إلى عملي غداً و...

ـ لا تهتمي بي الآن لورين. ماذا سنفعل بخصوص فيليس؟

ـ لا أعرف ما أقول. هل اتصل بالمستشفى؟

ـ أجل لورين افعلي هذا.

وبعد خمس دقائق قالت:

ـ لا شيء، لم تدخل أية شابة إلى المستشفى اليوم.

وعندما انتهت من الحديث، رن جرس الهاتف، وركضت من المطبخ إلى الردهة وهي تقول:

ـ سأرد عليه أنا، إنها بالتأكيد فيليس.

وكان المتصل روجر.

ـ لورين، أهذه أنت حبيبتي؟

ـ روجر، لم أكن أتوقع اتصالاً منك. كم رائع أن أسمع صوتك....

ـ وأنا أشعر بالراحة لسماع صوتك، لقد اتصل مجنون بي للتو ليقول انك مخطوفة ويجب أن أدفع عشرين ألف جنيه لإطلاقك.

وساد الصمت، فقد خفق قلب لورين بعدم الارتياح قبل أن يتم خطيبها حديثه، وشعرت باللون وقد غادر وجهها وهي تقول:

ـ فيليس لم تعد إلى البيت.

ولم تعد قادرة على قول المزيد، لأنها شعرت بشيء رهيب يسد حنجرتها.

ـ لم تعد إلى البيت؟ وهل تأخرت كثيراً؟

ـ كان يجب أن تكون هنا في السادسة إلا ربع والساعة الآن السابعة والربع.

وبدا صوته مضطرباً، ولكن دون إفراط وهو يقول:

ـ لا أعرف ما أقول، يا حبيبتي، كان يجب أن تحضر إلى البيت فوراً. لا تقلقي لورين...

www.liilas.com/vb3

ـ ولكن نظراً لما قلته للتو، روجر، يبدو أن هناك بعض الحقيقة فيما قاله ذلك الرجل لك. فأنا وفيليس نتشابه، ومن الممكن أن تكون قد اختطفت بدلاً مني.

ـ لقد نشرت صورنا في الصحف كثيراً مؤخراً. وربما اعتقد شخص ما أنه قادر على الحصول على عشرين ألف جنيه بسهولة.

ومنعها صوت أبيها وهو يصيح من إجابة خطيبها:

ـ لورين ماذا هناك؟

والتفتت إليه، وهي تبحث يائسة عن كلمات لا تسبب له الانفعال:

ـ إنه روجر.

ـ إنه لا يتصل في مثل هذا الوقت عادة.

وعاد روجر إلى الكلام وأعطته لورين انتباهها الكامل.

ـ يجب أن تتصلي بالبوليس فوراً، لورين.

ـ نعم... نعم... سأفعل.

ودون أن تودعه أقفلت السماعة. هذا ليس صحيحاً، قالت لنفسها تكراراً، وكانت تلاحظ دقات قلبها السريعة، وإن كل اعصابها تنهار. لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً! هذا ما يحدث للآخرين، وليس لنا، وصرخ بها والدها:

ـ لورين لقد أصبحت بيضاء كالأموات، تكلمي يا فتاة، ما عرفت لتوك؟

والتفتت إليه، ولكن قبل أن تتكلم دق جرس الباب. فقالت «ادوين» وركضت تفتح الباب. واندفعت الكلمات منها، دون

انتظام، مما جعل اللون يهرب من وجه أبيها الواقف قربها وهي تتكلم مع ادوين:

ـ لقد خطفوا فيليس...

ونظر إليها وأصبحت عيناه فجأة قاسيتان.

ـ بدلاً منك... لقد اختطفوا فتاة اخرى خطأ!

وابتلعت ريقها وهزّت رأسها بالإيجاب.

ـ ولكن هل أنت متأكدة؟

ولكن لاستغرابها، لم يكن تعبير ادوين مضطرباً كما توقعت أن يكون. وأضاف:

ـ على كل، لم تتأخر سوى لساعة ونصف، ربما تكون قد تأخرت في المكتب.. وقاطعه السيد واربي وعيناه لا تزالان مركّزتان على وجه لورين الأبيض.

ـ المكتب يغلق عند الساعة الخامسة. ولو لم تظهري إلى العلن فجأة، لما حدث هذا!

وقطب أدوين جبينه واحتج على كلامه.

ـ هذه ليست طريقة مناسبة تتحدثها مع لورين، فهذه ليست غلطتها.

ـ بشكل غير مباشر نعم...

وقاطعتهما لورين.

ـ سأتصل بالبوليس، هذا أهم شيء الآن.

وقطب أدوين بشدة.

ـ البوليس... هل هذا من الحكمة، لورين؟ أنا خائف... خائف جداً على سلامة فيليس. لا أظن انه يجب الاتصال بالبوليس.

www.liilas.com/vb3

وحدق السيد واربي به وقال غاضباً:

ـ إذاً ماذا نفعل؟ لورين اتصلي بالبوليس!

ـ أجل...

وصمتت وهي تحدق بذهول بقطعة من الورق مرمية على السجادة خلف ادوين الواقف وظهره إلى الباب بحيث أنه لم يرها.

ـ ر... رسالة.

والتفت ادوين والتقط الورقة. واختطفها السيد واربي من يده، الذي تغيّر وجهه إلى رمادي مريض بينما كان يقرأ عالياً ما كتب فيها.

«إذا كان لحياة ابنتك اهمية لديك فابتعد عن البوليس. هي تصرّ أنها ليست لورين. ولكننا لا نصدقها. إنها خدعة لن تنجح. المطلوب دفع عشرين الف جنيه لعودتها سالمة. وسوف يدفع خطيبها المبلغ».

وتوقف السيد واربي وقال إن التعليمات لتسليم المبلغ مكتوبة في أسفل الرسالة. وأخذتها لورين منه ويداها ترتجفان، وأعادت قراءتها لنفسها، وهي تنظر إلى وجه أبيها المرهق، ثم قالت لتهدئته وبإقتناع تام.

ـ لا تقلق يا حبيبي، روجر سيدفع.

ـ هل أنت متأكدة؟

ـ طبعاً، كان سيفعل هذا من أجلي، وأنا متأكدة انه سيدفع من أجل فيليس، سأتصل به فوراً.

واتصلت به، ولكن لدهشتها، نصحها روجر مرة أخرى أن تتصل بالبوليس.

ـ ولكن... روجر..

ـ لا تتأخّري أكثر، سأتصل بك بعد نصف ساعة، لأعرف ما حدث.

ـ أنا...

وتوقفت، وتحدث روجر ثانية، ولكنها فشلت في سماع ما قاله، لقد كانت مستغرقة في أفكارها، وقد أصابتها خيبة أمل عميقة من رد فعله لما حدث. وسألها:

ـ هل لا تزالين معي؟

ـ نعم روجر، لا زلت معك.

وقطبت جبينها. لماذا؟ وهي في هذه اللحظة الحرجة بالذات، قفز وجه الإسباني لذهنها فجأة؟ وعندما لم تسمع صوت روجر رددت:

ـ نعم... لا زلت معك. أبي في حالة سيئة جداً روجر، وأنا.. أنا لا أعرف ماذا أفعل.

وأدرك روجر بوضوح ما تشعر بالضبط، لأنه اخفض لهجته برقة عندما عاد إلى التحدث.

ـ حبيبتي... اتصلي بالبوليس.. فوراً. أم تفضلين أن أتصل أنا؟

ـ أدوين ينصح بأن لا نتصل بهم، وأبلغتك الآن عما تقوله رسالتهم أوه.. روجر أنت تعرف ماذا يحدث عندما يتصل الناس في مثل موقفنا بالبوليس. الضحية... تقـ.. تقتل.

www.liilas.com/vb3

وتوقفت، ولأن أعصابها بلغت حد التوتر. ولم تستطع أن تسيطر عليهم أكثر انفجرت بالبكاء. وتابعت:

ـ أنا في حيرة من أمري روجر! أرجوك حبيبي تعال إلى هنا، سأشعر أنني أفضل لو كنت هنا، لأنني أعرف أنك ستفهمنا ماذا نفعل!

ـ يجب أن تتصلي بالبوليس، ودون تأخير يا لورين، مهما قالت الرسالة.

والتفتت ورأت وجه أبيها الرمادي، والطريقة التي بدت فيها عيناه غائرتان. وفكّرت بروجر والحديث الذي تبادلاه. وفكرت بفيليس المصدومة المرعوبة، والموجودة الآن في مكان ما. فجأة بدا عالمها الوردي وقد انهار، وفي أعماق نفسها اقتنعت أن حياتها لن تعود كما كانت، وأن لا شفاء حقيقي من الكارثة التي حلت عليها.

وقطع صوت أبيها حبل أفكارها، وأعطته اهتمامها فوراً، وقد لاحظت أن ادوين واقف هناك ولا يبدو أنه يفعل شيئاً بالمرة، ولا حتى يفكر بالطريقة الصحيحة التي يجب أن يتصرف بها.

ـ لورين، روجر لم يعرض دفع المبلغ، أليس كذلك!

ـ لا يا أبي لم يفعل.

وتكلم ادوين وقد أصبح وجهه فجأة مشدوداً:

ـ لم يفعل، إذاً كيف سنسترد فيليس؟

شيء ما في لهجته جعل لورين تحدق به، وبينما هي تحدق مرت رعدة غريبة غير متوقعة في جسدها. فقد أدركت أن ما لفت نظرها في لهجته لم يكن شيئاً «تحتويه» بل شيئاً «ناقصاً» فيها.

وبطريقة ما كان لدى لورين انطباع انه لم يكن مضطرب تماماً كما يجب أن يكون في مثل هذه الظروف.

وردد السيد واربي.

ـ أجل... كيف سنسترد فيليس؟

وهزّت لورين رأسها دون أن تقول كلمة. فقد افترضت لو أن روجر كان سيدفع فدية لها، فقد يدفع أيضاً فدية لاسترجاع فيليس من أجل راحة بالها. وعلمت الآن أن العرض الفوري للمال لم يكن متوقعاً من خطيبها. فهو يطلب بعض الوقت، ويطلب أيضاً أن يقتنع أن فيليس قد اختطفت فعلاً.

ـ قد تعود في أية لحظة.

ـ قالت هذا كمن يفكر بصوت عال. ولكن ادوين ووالدها كانا يتحدثان معاً، ويقولان أن هذا مجرد تفكير مليء بالتمني. وقال والدها:

ـ يجب أن نتقبل واقع أن فيليس قد خطفت بدلاً عنك.

ـ لقد قالت لهم هذا.

ـ قد يصدقونها أو لا... ولكن في أية حال، لن يتركوها دون حصولهم على المال. وهذا واضح.

واستدار والدها بعيداً عنها. ورأته يضع يده مجدداً على قلبه. ثم ترنح واستند إلى الحائط في الوقت الذي وصل إليه لورين وأدوين. وأحضراه إلى المقعد وأسرعت لورين لتحضر الشراب المنعش له.

ـ يجب أن أحضر له طبيباً!

صرخت بهذا، بعد أن لاحظت لون عينيه وقد تغيّر.

www.liilas.com/vb3

ـ أوه... ادوين. هذا افظع شيء ممكن أن يحدث.

وانسابت دموعها على وجهها بينما كانت تسرع إلى الردهة، لتتصل بالطبيب. وأتى الطبيب فوراً، وأعلمها أن السيد واربي قد اصيب بنوبة قلبية.

ـ ولكنه لم يكن يشكو من قلبه.

وقاطعها الطبيب ليعلمها أن والدها كان يزوره طوال السنة الماضية وبأنه كان يتناول دواءً بانتظام منذ زيارته الأولى.

ـ هكذا إذاً...

ونظرت إلى ادوين تسترشد به. وقطب جبينه وهزّ رأسه. وقطبت هي أيضاً، ولم تقرر حتى في هذه اللحظة الحرجة أن تثق بالطبيب. وتركته يذهب، ولكن بعد أن أقفل الباب خلفه فوراً استدارت إلى ادوين لتسأله عن السبب لعدم رغبته بإخبار الطبيب عن السر.

ـ كلما كان الأشخاص العارفون بالسر قلائل، كان ذلك أفضل. ولا يجب أن نثير غضب مثل هؤلاء الأشخاص، فهم عادة قساة.

ـ لا حاجة لإخباري. أوه.. ادوين ماذا يجب أن نفعل الآن؟

وتوجهت نحو غرفة الجلوس حيث يرقد والدها. كان لونه رمادي أكثر من قبل، وهو يجاهد ليتنفس. ولكن الطبيب أكّد لها أنه سيكون على ما يرام بعد فترة قصيرة، ومع ذلك يجب أن تحضر نفسها لنوبة أخرى. فقد قال لها وهو يغادر المنزل:

ـ لو تلقى أي نوع من الصدمة ستكون القاضية.

وقالت بعد أن رأت والدها يسترد أنفاسه.

ـ سأذهب لرؤية... روجر.. يجب أن يدفع.. سوف يدفع، أعرف أنني أستطيع إقناعه.

وخرجت لورين، واستقلّت باصين بالتتابع قبل أن تصل إلى منزل خطيبها. ولم تتصل به لتبلغه بقدومها. ودقت جرس الباب، وفتح لها الخادم، وانحنى لها مشيراً بالدخول.

ـ أظن أن السيد روجر لا يتوقع قدومك؟

ـ لا، أخبره أنني هنا.

ودخلت إلى غرفة الاستقبال، غير مدركة أنها قد ارتكبت خرقاً لقواعد التشريفات.

ـ الأمر ملح... ولكنه يعرف ذلك.

ـ سأخبره فوراً آنسة واربي.

ودخل روجر بعد أقل من ثلاث دقائق.

ـ لورين.. عزيزتي...

ـ روجر حبيبي.. سوف تدفع؟ أرجوك قل انك ستدفع الفدية!

ـ حبيبتي.. لا يدفع الإنسان عشرين ألف جنيه هكذا. على كل فيليس ليست خطيبتي.. أنت....

ـ هل كنت ستدفع من اجلي؟

أرادت أن تعرف، وقال لها فوراً «نعم» فلن يتردد لحظة ليدفع من أجلها.

ـ في هذه الحالة.. ليس هناك فرق حقيقي، هل هناك؟ لقد خطفوها وكانوا يقصدوني أنا.. لقد ارتكبوا غلطة...

www.liilas.com/vb3

ـ لورين، يا عزيزتي. إنه ليس نفس الشيء.

ـ إنه نفس الشيء. لقد قصدوني أنا. أوه، روجر يجب أن تتظاهر بأنني أنا المخطوفة!

قلت انك كنت ستدفع دون تردد، وأنا متأكدة دون تأخير...

ـ بالتأكيد دون تأخير، فلن أتركك تعيشين في رعب...

ـ فيليس تعيش في رعب!

ـ أوافق معك، ولكنها ليست خطيبتي.

ونظرت لورين إليه، غير قادرة على فهم المنطق فيما يقوله. فإذا كان راغباً في دفع عشرين ألف جنيه من أجلها، فلماذا لا يدفعه من أجل فيليس، شقيقتها التي لو ماتت في مثل هذه الظروف لوضع موتها اللعنة على حياتها إلى الأبد؟

ونظرت إلى وجهه متوسلة:

ـ لقد أصيب أبي بنوبة قلبية، أعلم أنكما غير متوافقان، ولهذا لم تحضر الليلة عندنا، ولكن يا روجر انه والدي وأنا أحبه، ولا أريده أن يموت.

وقطب روجر بشدة، وقبل أن يكون له وقت ليتكلم فتح الباب ووقفت والدة روجر هناك، وكان على وجهها نظرة متحيرة. وابتعد روجر ولورين عن بعضهما وسألها روجر إذا كان يستطيع إخبار والدته بما حصل. وقبل أن تجيبه قالت والدته:

ـ هناك شيء حصل، هذا واضح... ماذا حدث؟

وخطت إلى الداخل وأغلقت الباب وراءها.

ـ هل حدث شيء ما في البيت؟

وهزّت لورين رأسها بالإيجاب ونظرت إلى روجر، وكأنها تطلب الإذن بالكلام. وحدّث والدته بما حصل تماماً. وكانت تعبيراتها تتغيّر لعدة مرات ولكنها لم تقاطعه. وتكلمت عندما أنهى كلامه:

ـ هل تتوقعين من روجر أن يدفع عشرين ألف جنيه؟ يا عزيزتي هل هذا معقول؟

ووقفت لورين تنظر إليهما، وهزّت رأسها بذهول وهي غير قادرة على تركيز ذهنها، غير قادرة على القول بأنها كانت تطلب الكثير، أو أنها لسبب معقول دهشا لأنها كانت تتوقع مثل هذا التنازل. أكثر ما استطاعت قوله ترديد ما قالته لروجر إلى حماتها العنيدة:

ـ لو كنت أنا، لدفع روجر، لقد قال لتوه انه كان سيدفع.

ووافقت والدته على هذا.

ـ دون شك كان سيدفع. ولكن الواقع مختلف، فيليس ليست خطيبته!

ـ أنا لا أفهم، أنا أعرف أن فيليس هي المخطوفة، ولكن من ناحية اخرى، كان من الممكن أن أكون أنا.

ـ مما استطعت فهمه، ليس لديك فكرة عما حدث؟

ـ لقد اختطفت عندما تركت عملها، كما اعتقد.

ـ يجب أن تتصلي برب عملها، لتعرفي إذا كانت قد وصلت إلى عملها هذا الصباح.

ـ أجل اعتقد أنه يجب عليّ أن أتصل به. ولكن، لأن والدي أصيب بالنوبة القلبية، كل شيء ذهب من تفكيري. وعندما بدأ

www.liilas.com/vb3

يشعر بتحسن قررت أن آتي إلى هنا... أردتك.. ان.. أن تواسيني.

- وأدوين.. أين هو؟

- في المنزل، منزلي، إنه مع أبي.

- ألم يفعل شيئاً بخصوص فيليس؟

- لا يستطيع فعل شيء. ولا واحد منا يستطيع... إلا إذا كنا نملك المال.

وتطلعت إلى وجه روجر، وعلمت دون شك أنه لن يدفع. فصرخت يائسة.

- ادفع... اتوسل إليك أن تدفع! يوماً ما... بطريقة ما سأحاول أن أعيد لك المال..

وقاطعتها حماتها قائلة:

- لا تكوني سخيفة. كيف تستطيعين إعادة المال؟

وأحست لورين بكامل جسدها ينهار.

- أنت على حق... ماذا استطيع أن أفعل؟ لا أستطيع أن أترك شقيقتي لـ.. لتقتل.

وحاولت إمساك دموعها ولكنها فشلت، وجذبها روجر إلى قربه ومسح رأسها، وأخرج منديلاً ليمسح دموعها وتمتم:

- أعرف تماماً بماذا تشعرين، يا حبيبتي، ولكن يجب أن تدركي أنني لا أستطيع التخلي عن عشرين ألف جنيه هكذا. فهو مبلغ كبير..

- ولكن لو كنت أنا، كنت دفعت، بإرادتك.

وتدخلت امه قائلة:

- ليس بإرادته كاملة، فالإنسان لا يرمي مثل هذا المبلغ بإرادته، يا عزيزتي.

ونظرت إليها لورين من مكانها بين ذراعي روجر. وللمرة الأولى أخذت تتفحصها بموضوعية، كامرأة وليست كحماتها العتيدة. ورأت أمامها امرأة ارستقراطية، طويلة، جليلة النسب، سيدة في صفاتها، وقسماتها جميلة ونبيلة، وقد صففت شعرها بشكل جذاب، وثيابها ذات كمال. ورأت البذة الغالية الثمن التي ترتديها، والماسات التي تلمع في يديها وأذنيها، ونظرت في عينيها، العينان اللتان طالما ضحكتا للورين، ولكنهما الآن ترتديان قساوة لم تعرفها فيهما لورين من قبل. وابتلعت ريقها وقد أحست للمرة الأولى أنها لا تتناسب معهم هنا. مع الناس الذين ولدوا وفي فمهم ملاعق من فضة. وقالت:

- من الأفضل أن أعود إلى المنزل. ولا أعرف ماذا سنفعل.

- الرسالة.. هل احضرتها معك؟

- لا، لم أفعل، لقد أتيت هنا على عجل.

- هل قالوا كيف وأين سيدفع المال؟

- نعم.. ولكن الآن، يجب أن أقول لهم إن المال لن يدفع.

- عندها سيرسلون لك شقيقتك.

وتدخل روجر ليقول بلهجة مضطربة.

- ولكن يجب علينا أن نكون حذرين حتى لا يقوموا بمحاولة اخرى، وخطف لورين هذه المرة.

- أتمنى لو أنهم كانوا خطفوني من أول مرة!

ولم يصدر أي رد.. وفي هذا الصمت العميق شعرت لورين

www.liilas.com/vb3

مـرة أخـرى أنها لا تنتمي إلى هنـا. وتحرّكت لتحـرر نفسهـا من ذراعي روجر، وحاولت أن تذهب، وقالت له:

ـ سأراك عندما أستطيع روجر، ومن الطبيعي أنني لن أخرج معك غداً للعشاء كما اتفقنا.

ـ لا تقلقي، حبيبتي، سأعتذر عنك للسير جون وزوجته. وسأتصل بك هذه الليلة لأعرف ماذا جد، من الممكن أن تكون عادت. فعندما يعرفون أنهم قد اختطفوا فتاة بالغلط فقد يقرروا أنه من الأسلم لهم أن يطلقوا سراحها.

ـ إنه أمل..

وتحركت نحو البـاب، بعد أن رمقت حماتها المستقبلية بنظرة متفحصة، وقالت على أمل أن يعرض عليها روجر توصيلها:

ـ أنا ذاهبة...

وهكذا فعل. وبعد نصف ساعة كان ينزلها على باب منزلها.

ـ ألن تدخل؟

وهزّ رأسه بالنفي.

ـ والدك لم يرحب بي عندما كان على ما يرام، إذاً فلن يرحب بي الآن. سأتصل بك لاحقاً.

وحيّاها تحية المساء، واستدارت فوراً وركضت صاعدة السلالم ولم يكن بـاب المدخـل مقفلاً فـدخلت بسرعة وذهبت نحـو غرفـة الجلوس، حيث كان والدها ممدداً على الأريكة.

٤. خيبه امل

قال لها والدها على الفور:

ـ حسناً؟ لا.. لقد رفض أن يدفع أليس كذلك؟

وابتلعت ريقها وهزّت رأسها بالإيجاب.

ـ هذا ما كنت خائفة منه يا أبي.

ـ حتى ولو كنت أنت، فلن يدفع.. بسرعة على ما أعتقد!

مثل هذه المرارة لم تتوقعها أبداً من والـدها. حتى هي نفسهـا شعرت في تلك اللحظة بطعم المرارة، لأنها لم تقدر على إيجاد عذر لتصرف خطيبها لعدم مبالاته بالمأساة التي حلّت بـزوجة المستقبـل ووالـدها. صحيح انه لم يحب أبـداً والدهـا، فعليهـا أن تعـترف صادقة أن عدم الود بينهما لم يكن بسبب روجر، ولكن هـذا ليس عذراً ولا بطريقة ما لرفض روجر المساعدة في هذه الحالة الرهيبة. وتكلم أبوها ثانية، وقفزت عند سماع أول كلمة.

ـ لقد دفعوا بـرسالـة أخرى من تحت البـاب. لقد اعـترفوا أنهم خـطفوا الفتـاة بالغلط، ولكنهم يصرون عـلى الدفـع. الـدفـع يـا لورين أو....

www.liilas.com

وتوقف، للحظة مرعبة ظنت أن النوبة ستعاوده، وانهار صوته ولم تعد لورين بحاجة لتعرف الباقي. . كان وجهها قد تحوّل إلى البياض حتى شفتيها، عندما استدارت لتنظر إلى وجه ادوين. كان يقف قرب النافذة ويتطلع بالظلام، واستدار إليها وفي عينيه نظرة توقع، ولكنها ماتت فوراً بعد أن لاحظ التعبيرات التي على وجهها. وحدقت به. فقال:

ـ ماذا نستطيع أن نفعل؟

واستدارت لورين لوالدها.

ـ هذه الرسالة. . . أين هي؟

ـ مع ادوين.

واستدارت نحو ادوين مرة اخرى.

ـ أحب أن أراها.

ـ إنها هناك على الطاولة.

والتقطتها، ورأت أنها تحتوي على كل ما قاله والدها، لقد كانت مكتوبة بأحرف كبيرة مطبوعة على ورق رخيص. ولسبب ما رفعتها إلى أنفها ولكن لم يكن عالق بها أية رائحة. وكان ادوين يراقبها عن كثب. ولاحظت ذلك وشعرت بشيء ما يمر خلال عمودها الفقري.

ـ هل القيت عبر صندوق الرسائل؟

ـ بالطبع، هل هناك مكان آخر؟

ـ آسفة. إنهم جريئون أليس كذلك؟

قالت هذا وهي تدرك أن هناك شيء محيّر حول القصة كلها.

ـ من المخاطرة ان يأتوا إلى المنزل بهذا الشكل، وخاصة في هذا الوقت بالذات وكلنا متيقظون.

ولم يتكلم أي من الرجلين. فأضافت:

ـ ألم تسمعا شيئاً. . . . ؟.

ـ من الواضح أننا لم نسمع شيئاً، هل كنت تتوقعين أن يقرعوا الجرس؟

ـ أظن بأننا ليس أمامنا بديل سوى الاتصال بالبوليس.

وصرخ أدوين بقوة:

ـ لا! لقد قالوا إنهم سيقتلوها. . .

فقالت وقد لاحظت أن تعبيرات والدها قد تغيّرت فجأة.

ـ اصمت. . . فأنا سأتولى المسألة يا ادوين، وأنا أنوي أن أجلب البوليس فوراً.

وقاطعها والدها.

ـ لن تفعلي هذا!

وكان العرق ينضح من جبهته. والتقطت لورين أنفاسها، وقد أرعبتها امكانية أن يؤذي نفسه بارتفاع تأثره وغضبه.

ـ أنا المسؤول هنا! ولن أتركك تستدعين البوليس، هل تفهمين؟

ـ ولكن يا أبي، لا نستطيع أن نجلس هكذا ولا نفعل شيئاً.

وكانت الساعة جاوزت الحادية عشر ولم تكن قادرة على إبعاد تفكيرها عن تصور شقيقتها جالسة في مكان ما في سجن صغير، وكل دقيقة تمر كالعمر. وهمست لنفسها «لا أستطيع تحمل هذا. يجب أن أفعل شيئاً».

www.liilas.com/vb3

ـ قلت إن روجر سيدفع!

ـ لقد نصحنا بالاتصال بالبوليس!

ولم تتابع كلامها، فذكر البوليس كان مؤذياً لحالة والدها بوضوح. وحدقت بادوين.

ـ حسناً؟ هل لديك اقتراحات؟

ـ فقط أن نجد المال يا لورين. يجب إيجاده!

وبدا عليه الضّيق، ولكن لورين شعرت بأن عدم الراحة بدت لا علاقة لها أبداً بالوضع.

ـ أين يمكن إيجاد المال؟

وهزّ رأسه.

ـ إذا لم يتحرك روجر.. أعني إذا لم يرغب روجر أن يساعد...

وهزّ كتفيه بيأس واستدار نحو النافذة، يحدق إلى الظلام في الخارج، ويداه غارقتان في جيب سترته. وقالت لورين بعد صمت طويل:

ـ أبي، أتظن أنك قادر على الصعود إلى فراشك؟

ـ الفراش؟ هل تعنين أنك تنوين الذهاب إلى الفراش، وكأن شيئاً لم يحدث؟

ـ لا يا حبيبي... ولكن يجب أن ترتاح.. لا.. لا تقاطعني أرجوك حتى أنهي ما أقوله. أعرف انك لن تستطيع النوم، اكثر مني، ولكن ستكون مرتاحاً أكثر في الفراش. سنساعدك أنا وأدوين على الصعود.

واقتنع أخيراً، وساعداه على الصعود، وبعد أن أعطته حليباً

ساخناً، نزلت مع أدوين ليجلسا في غرفة الجلوس لما بعد منتصف الليل.

ـ أتمنى لو أنك لم تقابلي هذا الرجل! لقد كنا سعداء حتى أصبحت مخطوبة له.

وقطبت وقالت:

ـ أدوين.. هل هناك شيء لا أعرفه؟

ـ تعرفين كل شيء يا لورين.

ـ لا أزال أظن أننا يجب أن نتصل بالبوليس. فلو كان أمامنا فرصة للحصول على المال لاختلف الأمر، ولكن كما هو الأمر الآن.. لا إن الأمر فيه مخاطرة. أليس كذلك؟ والذي محق بقراره لعدم الاتصال بالبوليس.

ـ كنت أتمنى أن يدفع روجر، مع أنني شعرت منذ البداية أنه لن يدفع... منذ البداية... لن يدفع...

وعضت على شفتيها بانزعاج، محاولة صرف فكرة بأن هناك بعض الغموض هنا. لأن إعادة النظر بالوضع يشير إلى ذلك. شخص ما بكل بساطة يحاول الحصول على بعض المال دون تعب، فخطف الفتاة التي ظن أنها لورين. ولكنه حصل على توأمها. ولكنه لا يزال يطالب بالفدية معتقداً أن شقيقتها ستؤثر على خطيبها ليدفع. كل شيء تم ببساطة ولكن فجأة ودون سبب بالمرة، تصاعد أمام عيناها صورة الوجه اللاتيني لذلك الإسباني. وسألت نفسها، لماذا يتطفل هكذا عليها في وقت كهذا؟

بعد ليلة من عدم النوم وصلت أعصاب لورين إلى حافة الانهيار. لقد لازمت أبيها في غرفته، حتى الثانية والنصف

www.liilas.com/vb3

صباحاً. وكل ما فعله هو ترديد قوله بأن فيليس هي في هذا الوضع الآن لأن لورين خطبت لرجل ثري. وبعد الثانية والنصف كان يغط بالنوم، وتركت الغرفة بصمت، ونزلت لتصنع لنفسها فنجان شاي. وتمددت على الأريكة دون أن تستطيع النوم.

رن جرس الهاتف عند السابعة والنصف صباحاً؛ وهرعت نحو الردهة لترد وسمعت صوتاً متكتماً يقول:

ـ لا تنسي.. المال عند الساعة العاشرة هذا الصباح، في غابة «فيدلر» عند شجرة السنديان قرب البحيرة الجافة.

ـ انتظر... أنا... نحن لم نستطع الحصول على المال...

وأوشكت على البكاء، فقد انقطع الخط. وأتى صوت والدها من غرفته وهو يصرخ:

ـ لورين!..

ووضعت السماعة وصعدت الى غرفته.

ـ تركتيهم يقطعون الخط؟ لماذا لم تحاولي استبقاءهم...

ـ لقد أقفلوا الخط يا أبي، لم يكن لديّ فرصة لأقول شيئاً.

ـ وهل ستذهبين إلى المكان المحدد؟

ـ سأذهب يا عزيزي لقد قلت هذا عدة مرات، سأذهب وأترك لهم رسالة.

ـ سيغضبون كثيراً. وسوف يلحقون الأذى فوراً بابنتي الحبيبة!

ـ لا تنظر إلى الناحية المظلمة، إلى أن نرى ما نتيجة الرسالة، فقد يفرجون عنها.

ـ لن يفعلوا!

وصعدت يده إلى قلبه، وبدا أن نفسه قد انقطع فجأة وهزّها الذعر وانحنت فوقه.

ـ هل تأخذ حبة دواء يا حبي؟

ـ لم يحن وقت الدواء بعد، ولكنني مشرف على النهاية يا لورين. لا أهتم إذا مت، فلو ماتت فيليس لن يكون عندي أحد أعيش من أجله. فلن ترغبين بي عندما تتزوجين وتصبحين سيدة ثرية ذات لقب.

ـ هذا هراء وأنت تعلم هذا.

ـ روجر لم يأتِ إلى هنا حتى في هذه الظروف. إذاً فمن غير المحتمل أن يأتي فيما بعد، عندما تتزوجان، وإذا لم يأتِ فلن تأتي أنت أيضاً.

ـ بل سآتي يا أبي، وتستطيع زيارتي متى شئت.

ـ لست مرحباً بي في ذلك المنزل.

وأسرعت لورين لإحضار الدواء وكأس ماء وقال بعد أن ابتلع الدواء:

ـ لم أستطع حضور حفلة خطوبتك.

ـ كان بمقدورك أن تأتي. فقد كنت مدعواً يا أبي.

وأغمض عيناه، وارتعدت لمنظر دمعتين انحدرتا من تحت رموشه وانحنت لتقبله وقالت بنعومة:

ـ لو كنت أعلم ماذا سيحدث، لما أصبحت خطيبة لروجر.

وأثّر به هذا الكلام بطريقة أدهشتها. وقال وهو ينظر إلى وجهها:

www.liilas.com/b3

ـ أمامك حياتك لتعيشيها لورين، ولا يجب على أحد أن ينقم عليك لسعادتك.

وبدا عليه مرة اخرى شعور بالذنب، وانحنت لتقبله.

ـ حاول أن تستريح يا عزيزي، لا نستطيع فعل شيء حتى أوصل تلك الرسالة. ونرى عندها ما سيحدث.

ـ ستكتبينها بحذر أليس كذلك؟

ـ سأكون متذللة جداً، سأتوسل إليهم أن يرسلوا لنا فيليس سالمة.

وصلت إلى المكان المحدد عند العاشرة إلا ربع، ووقفت هناك دقائق طويلة من الصمت تتطلع من حولها. كانت الغابة موحشة. كانت تلعب هناك مع فيليس عندما كانتا طفلتين وكانت السنديانة قرب البحيرة الجافة شجرتها المفضلة ليتسلقاها، ومن سخرية الأقدار أن المكان هذا هو المختار لوضع المال، في ثقب عادة يكون عشاً للعصافير في الربيع. ولم تسمع لورين صوتاً سوى حفيف الأوراق، وصوت عصفورين على غصن في شجرة السنديان. ووضعت الرسالة في الثقب، وابتعدت متسائلة عما إذا كانت هناك عيون تراقبها.

وانتظرت باقي ذلك اليوم وهي قلقة لتسمع رنين الهاتف. واتصل روجر مرتين، ولكنها في المرة الثانية طلبت منه ان لا يتصل وستتصل هي به. قد يضعون رسالة أخرى في صندوق البريد، ولكنهم على الأرجح سيخافون الاقتراب من المنزل. وذكرته أثناء حديثها أن يعتذر لأصدقائه لعدم حضورها إلى الحفلة، فقال لها:

ـ سأجد عذراً مناسباً... اتذكرين ذلك الوسيم دون رامون الذي كان في حفلة خطوبتنا؟

ودون أن يترك لها فرصة للجواب تابع ليقول انه مدعو أيضاً لحفلة العشاء الليلة مع بول.

ـ دون رامون ذاهب إلى الحفلة...؟ لقد توقعت أن يكون قد عاد إلى إسبانيا.

ـ أوه لا، من اعطاك هذه الفكرة؟ انه سيمكث هنا شهراً، إنه يمضي جزءاً من وقته مع بول وزوجته والجزء الثاني في فندق «سافواي» في لندن. انه هنا ليعقد صفقة عمل كبيرة.

كان من المفترض أن تراه أيضاً لولا هذه المأساة.

ـ إذاً ستراه هذه الليلة.

ـ هذا صحيح، وسأبلغه تحياتك.

ـ لن تقول شيئاً عما حدث يا روجر؟

ـ تعلمين أنني لن أفعل يا عزيزتي. على كل الأحوال فيما لو لم أستطع الاتصال أقول لك، تصبحين على خير.

وتنهدت لورين.. أفكارها كانت مع الإسباني، في وقت يجب أن تكون مع روجر. وعلقت السماعة وفكرها مرتبك من تصرفاته، فقد بدا أنه أصبح بعيداً عنها، ولكن من الأفضل أن تعزو ذلك إلى شعوره بالذنب، فهو قادر على تقديم مال الفدية، وهو يعلم تماماً أن لورين تعرف ذلك.

وقالت لنفسها:

ـ لست أدري، فربما كنت غير منطقية إذ توقعت منه دفع المال

www.liilas.com/vb3

لإطلاق سراح فيليس. كم أتمنى لو أنني أستطيع أن أنظر إلى الموقف من وجهة نظره.

ودق جرس الهاتف بعد الساعة التاسعة مساء، وسمعت نفس الصوت المتكتم، وكان صوت رجل، وقال:

- رسالتك وصلت. ولكن المال يجب أن يدفع. لقد أعطيناك مهلة أربعة وعشرين ساعة اخرى. فيليس لا تزال سليمة في الوقت الحاضر، ولكن إنقاذ حياتها هو بين يديك...

وتوقف الصوت، وضغطت لورين السماعة على أذنها وركّزت سمعها كما لم تفعل من قبل في حياتها. وبدأ شخص ما بالهمس حتى قبل أن يتوقف الصوت المتكتم وسمعته لورين يقول «خمسة عشر» وقال الصوت:

- سنقبل خمسة عشر ألفاً. ولكن هذا أقل مبلغ نقبل به.

فقالت له لورين وهي تتكلم بسرعة مضيفة بعض اليأس إلى لهجتها:

- ولكن هذا مستحيل، أرجوك لا تقفل الخط...

وتوقفت وقد لاحظت الصوت الهامس مرة اخرى. هل هو صوت امرأة؟ وبطريقة ما لم تتصور أن امرأة قد تكون متورطة في جريمة كهذه.

- خمسة عشر ألفاً، آخر كلمة لدينا. شقيقتك في خطر مميت!

وانقطع الخط، ووقفت لورين وهي تحمل السماعة، وقد ضاقت عيناها، وحاجباها مقطبان وقالت لنفسها:

- ذلك الصوت... متستر... متنكر ذلك واضح.. اتخيل أن امرأة لها يد في هذا الأمر.

ووصل ادوين بعد برهة، وسأل عما استجد. ولدهشة لورين لاحظت أنه غير قادر على ملاقاة نظرتها إليه. وقال غاضباً:

- أين سنجد خمسة عشر ألفاً بحق السماء. يا إلهي كم أتمنى لو أنني أستطيع فعل شيء. ما هذه الورطة الملعونة!

وتوصلت لورين إلى حل.

- سأذهب إلى أحد الممولين، لست اهتم في ان ارهن حياتي لأحصل على المال!

- إلى مقرض مال؟

قال والدها هذا ثم هز رأسه بالموافقة، على الرغم من الاحتقار الذي برز في عينيه، وتابع:

- أجل اذهبي، أول شيء تفعلينه في الصباح.

وصرخ ادوين باضطراب:

- لا... لا تستطيعين فعل هذا يا لورين! لا تستطيعين رهن حياتك هكذا، على كل الأحوال ماذا سيقول روجر حول هذا الأمر؟

- لن أقول له.

وأصبح وجهها مبيضاً ومرهقاً، ولكن في عينيها الجميلتين تمثل العزم والتصميم.

- سأحصل على حصة من المال عندما أتزوج، سأدفعها كلها من أصل الدين.

وخرج ادوين من الغرفة، ولاحقته نظرات لورين فقال لها:

www.liilas.com

ـ سأصنع كوباً من الشاي، أم تفضلين القهوة؟
ـ الشاي أفضل.

وفي الصباح التالي، اتصلت برئيسها لتقول له انها لا تزال مريضة، ثم خرجت لزيارة «الممول» شاهدت دعاية له في صحيفة محلية. وكانت النتيجة سلبية، وما عرفته أن أي ممول سيطلب نوعاً من الضمانة. «سندات المنزل» ولكنها أخبرته أن المنزل ليس ملكاً لهم. «مجوهرات؟» ولم تهتم حتى بالرد عليه. ولم تشعر أبداً في كل حياتها بمثل هذا الإذلال.

عند عودتها كان والدها نائماً، وبينما ارتاحت لعدم اضطرارها لأن تقول له ان ليس هناك إمكانية لاقتراض المال، فمن ناحية أخرى كانت تفضل أن تبلغه وينتهي الأمر.

ودق جرس الهاتف عند الظهر، والتقطت لورين السماعة، ثم أعطت رقم الهاتف واسمها. وجاءتها اللكنة الناعمة لصوت وكأنما يأتي من بعيد.

ـ سنيوريتا. . . .

هل هي تحلم؟ وشعرت بقلبها يخفق بجنون.

ـ لورين. . . أريد أن أراكِ. هل تتعشين معي هذا المساء؟

وخرجت منها كلمة قصيرة وكأنها تخرج بكل عنفها.

ـ لا! لا يا سنيورا اذهب عني!

ـ لم تكوني مع خطيبك مساء الأمس. سنيوريتا. هل افترقتما؟

ـ بالتأكيد لا. . .

وقطع كلامها صوت أبيها المنخفض.

ـ لورين، من المتكلم؟

ولاحظت لونه الممتقع، فوضعت السماعة، وهي تشعر أنها يجب أن تكون مستعدة لالتقاطه قبل أن يقع. ولم تلاحظ أنها أخطأت الهاتف وانزلقت السماعة على الطاولة.

ـ إنه رقم غلط، يا عزيزي.

ـ هذا الصباح، ذلك المقرض للمال؟ هل نجحت في الحصول على المال لإطلاق سراح ابنتي؟

ـ لا يا أبي. لا يقرضون المال دون ضمان.

ـ إذاً قضي الأمر! فتاتي. . . ابنتي المحبوبة. . . قتلت!

وصرخت وهي تمسك به وهو يترنح.

ـ لا! سنجد طريقة ما، أبي. يا حبيبي أنت مريض جداً!

ـ سأموت.

ـ تعالى، سأضعك على الأريكة. . .

ـ سيقتلون حبيبتي فيليس!

وبدأ بالصراخ، وخافت أن يضر بنفسه، وطلبت منه مرة أخرى بلهجة لطيفة ومقتنعة أن يدعها تأخذه إلى غرفة الجلوس حيث يستطيع الاستلقاء على الأريكة.

ـ كل هذا من أجل خمسة عشر ألف جنيه. لقد ذهبتْ حياة طفلتي. . بكل بساطة لأننا لا نستطيع إيجاد خمسة عشر ألف جنيه لأجل الفدية! يجب أن يكون هناك شخص يرغب في إقراضنا!

ـ يجب أن نلجأ إلى البوليس يا حبيبي. . .

وصرخ وذراعه تطير في الهواء.

ـ لا. . لن تفعلي هذا. . لا. . لا!

www.liilas.com/vb

وبدأ يترنح، واصطدم بالطاولة ووقع الهاتف على الأرض وتحطم. وارتعدت وأمسكته بقوة، وسحبته الى الأمام، وأخيراً هدأ قليلاً واستطاعت أن تضعه على الأريكة. ثم عادت إلى الردهة والتقطت الهاتف واتصلت بالطبيب، ورد عليها مساعده وأبلغها أن الطبيب قد خرج في جولته المعتادة على المرضى. فأعطته اسمها وعنوانها وطلبت منه أن يزور والدها في اسرع وقت ممكن.

وأعدّت لوالدها شراباً ساخناً، ثم صعدت لتجلب له وسادة ومرّت في طريقها بغرفة شقيقتها، وتوقفت. كم تبدو الغرفة فارغة وقاتمة! فيليس.. لو حدث لها شيء، تعرف لورين أنها لن تتغلب على المحنة أبداً. وأنها لو لم تخطبها روجر لما حدث لشقيقتها شيء... لا... لا يجب أن تموت! من الممكن فعل شيء ما! وعادت بالوسادة إلى أبيها وقالت:

ـ سيحضر الطبيب قريباً.

ولكنه هزّ رأسه بيأس وقال:

ـ لا أريده يا لورين، أريد فقط أن أموت!

ودق جرس الباب.

ـ إنه هنا.. مع أنني لا أعلم كيف استطاع الحضور بهذه السرعة!

ودق جرس الباب مرة اخرى، وركضت نحو الباب لتفتحه.

ـ أنت!

وتراجعت خطوة إلى الخلف بشكل آلي، مبتعدة عن الرجل الطويل الذي يقف على السلم.

ـ سنيوريتا...

وتطلع إلى خلفها نحو عتمة الردهة الصغيرة وقال:

ـ ألن تدعيني إلى الدخول؟

ـ نعم... لا...! اذهب عني!

ولكنه دخل مستفيداً من الفراغ الذي احدثته أثناء تراجعها إلى الوراء.

ـ إنك في ورطة رهيبة، سنيوريتا.

ـ وكيف عرفت بهذا؟

ـ لديّ طرقي لاكتشاف الأشياء. والدك ليس على ما يرام كما أعتقد؟

وقطبت لورين في وجهه باستغراب:

ـ كيف عرفت؟

ـ يجب أن تقولي عن متاعبك سنيوريتا.

ودون انتظار دعوتها للدخول، ذهب من الردهة إلى غرفة الجلوس، وعندما شاهد والدها قال محنياً رأسه بالتحية:

ـ سنيور أنا هنا لأقدم لكم المساعدة في محنتكم.

وتطلع السيد واربي بابنته بسرعة قائلاً:

ـ المساعدة؟ من هذا الرجل؟

وأبلغته لورين أنه صديق لبول التقته ليلة حفلة خطوبتها فسألها والدها:

ـ ولكن كيف علم بمشاكلنا؟

ولم تستطع لورين إلا أن تعترف بأنها لا تعرف. وقال الدون بلهجة غير مبالية قدر ما استطاع:

ـ اعتقد، أنكم بحاجة إلى خمسة عشر ألف جنيه؟

www.liilas.com

وأصبحت عينا لورين كعيني الساحرة.

ـ لقد تحدثت مع... مع...

ولكنها صمتت، مقتنعة أن روجر لن يخل بالوعد الذي قطعه بأن يبقي الأمر سراً.

ـ لم أتحدث مع أي شخص كان. هل استطيع الجلوس سنيوريتا؟

ودون أن تنفوه بكلمة، هزّت رأسها بالإيجاب. لقد كانت في شبه غيبوبة... ولكن عبرها كان شعاع من الضوء جعلها ترغب في الغناء بفرح. وقالت عندما استطاعت في النهاية ان تسترجع صوتها:

ـ أنا لا أفهم... أنت... لقد قلت انك هنا لتقديم المساعدة؟

ـ صحيح.. اعتقد أن شقيقتك مخطوفة؟ أخبريني سنيوريتا كيف حدث هذا؟

ـ سأقول لك بالطبع، ولكن قبل كل شيء، سنيور، يجب أن تقول لي كيف لك أن تعرف كل هذا؟

ومد يده باتجاه الردهة وقال:

ـ لقد فشلت في وضع السماعة في مكانها، إنه قصر نظر قد يؤدي يا عزيزتي في بعض الأحيان إلى الخطر.

ـ هل سمعت؟ أجل، لقد فهمت الآن سنيور.

وأراد والدها أن يعلم ما في الأمر وكان صوته عالياً وهو يقول:

ـ ما الأمر؟ فسّروا لي هذا، واحد منكما، في الحال!

ونظر الدون إليه وعبس.

ـ كل ما تحتاج لمعرفته سنيور انه لا لزوم لك لتقلق حول ابنتك، فيليس. سيكون مبلغ الفدية الخمسة عشر ألف جنيه متوفراً.

ـ واستدار نحو لورين.

ـ والآن سنيوريتا، ستتحدث أنت وأنا على انفراد.

ولكن والدها اعترض، قائلاً إن بحث أي شيء يعنيه يجب أن يكون في حضوره. وأمام هذه الخطية السيئة الطبع الصغيرة وقف دون رامون على قدميه بخيلاء، ونفض بقعة خيالية عن سترته النظيفة واستدار إلى لورين وقال بنعومة، ولكن بنبرة كان يقصد إيصالها إلى والدها:

ـ لقد غيّرت رأيي، سنيوريتا، إذا لم تتكلم على انفراد فلن تتكلم أبداً. أتمنى لك يوماً طيباً، سنيور، وآمل أن تكتسب المال اللازم لإطلاق سراح ابنتك. سنيوريتا، يسرني أن ترافقيني في طريقي إلى الخارج!

www.liilas.com/vb3

٥. عرض من السماء

- لا . . . انتظر!

وحاول السيد واربي ان يرفع نفسه عن الأريكة، ولكنه سرعان ما وقع على الوسادة.

- لا أعرف من أنت، ولكن عرضك كحبل يرمى إلى غريق. خذ لورين إلى الغرفة الأخرى وتحدث معها ما تشاء . . .

وتوقف وجاهد ليتنفس.

- أعطني قرص دواء أولاً يا لورين. ثم اتركيني!

وأطاعت لورين والدها، وتذكيرها بخدر تقريباً، وجلبت له الدواء وكأساً من الماء، ثم قالت:

- نستطيع التحدث في غرفة الطعام، إنها . . إنها ليست مرتبة تماماً.

وأزاحت ابتسامته بعضاً من ارتباكها. وسارت أمامه، نحو غرفة الطعام.

- أرجوك أن تجلس، سنيور.

- شكراً لك. والآن أريدك أن تخبريني بكل شيء.

- سنيور، لست أرى سبباً لتحملك كل هذه المشاكل؟

- لم تكوني موجودة مع خطيبك في حفلة الأمس، وسألتك عما إذا كنت أنت وخطيبك قد انتهيتما . . .

- لم ينته شيء، لذا أرجوك أن لا تأخذ فكرة خاطئة.

- أخبريني عن شقيقتك.

وقال لها هذا بلهجة آمرة، ودون أي اعتراض أعادت له ما حدث. وبعد ما أنهت حديثها، مرت فترة صمت، وبدا على وجهه أنه يراجع أمراً في ذهنه له أهميته، وبعد قليل ظهر الهدوء عليه وقال:

- ألم تطلبي المال من خطيبك؟

- بلى . . إنما المبلغ كان عشرين ألفاً في البداية وهذا مبلغ كبير لأطلبه منه.

- مبلغ كبير؟ أعتقد أنه لن يفتقد مثل هذا المبلغ.

- إنه مبلغ كبير فعلاً.

- وهل هو كثير على سعادتك وراحة بالك سنيوريتا؟

وأصبح صوته مرتجفاً، وعيناه تلمعان، ونظر إلى البعيد وكأنه قد شاهد شيئاً أثار غضبه.

- لا أريد أن أتناقش معك حول خطيبي سنيور. واضح أن عندك الشيء الكثير لتقوله لي، لذا أرجوك أن تقول . .

ورفعت عينيها الجميلتين وتطلعت إليه. وحدق بهما، في العمق الأزرق الدخاني، ورأت أن تعبيراته قد تغيّرت. فماذا يريد منها مقابل ما ينوي تقديمه؟

- لقد عرفت الآن لماذا لم تكوني مع خطيبك الليلة الماضية، لقد كان عندي أمل بأنكما تشاجرتما وفسختما الخطوبة.

www.liilas.com
فراشة المحبة
www.liilas.com/vb3

ـ سنتزوج كما هو مقرر، سنيور.

ـ هل أنت متأكدة؟

ولم تجب على سؤاله ولكنها سألته عما كان يعنيه عندما قال إن مال الفدية متوفر. وأضافت:

ـ هناك شروط؟

وكان هذا بمثابة تأكيد أكثر منه بسؤال. وأحنى الدون رأسه ورد عليها دون تردد بأن تخمينها في محله: فهناك شروط!

ـ تريدني أن أتزوجك؟

واحسّت بالجفاف يتصاعد إلى حلقها، وفكّرت بروجر، وبوالدته وفكرت من ناحية أخرى بوالدها، وبحالته، وفكّرت بفيليس، وارتعدت متسائلة عما إذا كان سيطلق سراحها أبداً... وعما إذا كانت سترى والدها وشقيقتها ثانية. من الملح ان المال يجب أن يسلم دون أي تأخير. وقال دون رامون:

ـ أريدك أن تتزوجيني.

ـ ومقابل ذلك، تعطيني المال؟

ـ هذا ما أنويه، سنيوريتا.

فقالت واليأس يغمرها.

ـ لا أستطيع أبداً أن أحبك... لأنني أحب روجر.

وصمت أمام قولها فترة:

ـ وقد تهتمين بي قليلاً، يوماً ما.

ولكن لورين هزّت رأسها مؤكدة، فاستطرد الدون دون أن تتمكن من الرد.

ـ لقد قلت لك انك لا تحبين هذا الرجل.

ـ سأتزوجك.

قالت هذا بكل هدوء وبساطة. بعد ذلك وبسبب قلة النوم، مجتمعة مع الضغط الهائل على أعصابها في اليومين الماضيين، والدمار التام الذي أصابها من جراء اضطرارها لفسخ خطوبتها مع الرجل الذي تحبه، دفنت وجهها بين يديها وانفجرت بنوبة مفاجئة من النحيب.

ـ إنها ليست بداية تبشّر بالخير. لن يكون الأمر سيئاً كما تتصورين يا لورين فأنا لست «غول». على الرغم من أنك ربما تنظرين إليّ الآن هكذا.

ـ لا، أنا لا... أنت لطيف سنيور... لطيف جداً، لتقديمك المال اللازم لإطلاق شقيقتي.

وتحوّل صوتها، الذي كان يرتجف من البكاء بين حين وآخر، إلى صمت عندما شاهدت التقطيبة المفاجئة التي استقرّت على جبهته، وشده على شفته السفلى بين أسنانه، وسألته بقلق:

ـ هل هناك ما يزعجك؟ هل ندمت على عرضك؟

ـ بالطبع لا...

وأخذ يدها ليوقفها على قدميها، وقربها منه، وأخرج منديلاً من إحدى جيوبه ليجفف دموعها.

ـ لا تبكي يا صغيرتي، فلا شيء في الدنيا يستاهل بكائك.

صوته الناعم، الجذّاب بلكنته، أعاد لها الطمأنينة، واستطاعت أن تضع ظل ابتسامة على شفتيها، ولكن التنهيدات كانت لا تزال

www.liilas.com/vb3

تهزّها، ومضى بعض الوقت قبل أن تعود إلى هدوئها.

ـ المال... إنه مطلوب عند العاشرة غداً.

ـ سيكون حاضراً.

ـ لا أدري كيف أشكرك.

ولكنها كانت خائفة، خائفة جداً، بسبب ذكرى تسلطه عليها وسيطرته السهلة القادرة دون جهد على تحطيم إرادتها. وتساءلت عن سبب انجذابها إليه، فهو لم يذكر الحب، فلماذا هو مصمم على الزواج منها؟ هل يهتم بها؟ وإذا كان كذلك، فإن هذا الحب كان سريع النمو لأن يستمر طويلاً. ولكن ماذا يهم؟

وهمست لنفسها «روجر، لماذا يا حبيبي لم تقدم أنت المال بنفسك»؟ وسألها دون رامون:

ـ بماذا تفكرين؟ بروجر.

ـ نعم. فمن المستحيل أن أتخلى عنه دون وخز ضمير، سنيور.

ـ انسيه، لو أنه كان يحبك حقيقة، لدفع الفدية.

ـ لا أسمح لك بالتحدث عنه باستخفاف هكذا.

ـ لن نذكره بعد الآن.

ـ ولكن يجب أن أراه... أنت تفهم هذا؟

وأصبحت لهجتها قلقة، وأدركت أنها قد أصبحت خاضعة منذ الآن لهذا الرجل الذي ستصبح زوجة له عما قريب.

ـ بالطبع يا لورين، يجب أن تذهبي إليه وأن تكوني صادقة معه.

ـ إذا غيّر رأيه حول المال، سأبقى معه عندئذ.

وعلمت وهي تتكلم أنها لن تطلب المال مرة أخرى من روجر أبداً. فردّ عليها باقتناع ثابت:

ـ لن يغيّر رأيه.

ـ هل تحدثت معه الليلة الماضية؟

ـ قليلاً.

ـ واكتسبت أنت.. نوعاً من الانطباع؟

ـ لقد سبق وقلت لك يا لورين، أنا أجيد قراءة شخصية الناس.

ـ أجل.. أذكر هذا. لقد قلت أشياء رهيبة عن شقيقتي، أرجو أن تكون الآن آسفاً لرؤية أنها في محنة صعبة. آه.. كم أتمنى لو أننا نستطيع إطلاقها فوراً، في هذه اللحظة. لا أستطيع تحمل التفكير بها وهي جالسة في غرفة ضيّقة، تنتظر بخوف أن ترى ماذا سيحدث لها.

ولدهشتها رفع الدون يده ليكتم تثاؤباً. لقد كان من دون قلب، وهزّت كتفيها دون اكتراث. فيليس لا تعني له شيئاً، وهذا ما أدركته. وهكذا تقبلت واقع أنه لا يظهر أي اهتمام بما قد تكون تعانيه. فيليس بالنسبة له ليست سوى وسيلة تمكّنه من تحقيق رغباته. وسألته:

ـ متى تريد أن نتزوج؟

ـ فوراً.

ـ أتعني...؟

ـ بموجب الترخيص الخاص، يجب أن أعود إلى إسبانيا عند نهاية الأسبوع.

www.liilas.com/vb3

ـ والمال؟ متى ستعطيني إياه؟

ـ سأذهب أنت وأنا لندفعه.

ـ لنفترض أنهم أخذوا المبلغ ولم... لم.

وانهارت، غير قادرة على إكمال ما كانت ستقوله، لقد كانت تفكر بإمكانية أن يأخذ الخاطفون المال، ولا يطلقوا سراح فيليس. وبما أن المال قد أصبح الآن متوفراً، فقد عاودتها الفكرة بقوة، وامتلأت عيناها فجأة بالدموع. ولكن الدون كان يهز رأسه بثقة، كانت تثبت أن شيئاً لن يحدث. وقال بنعومة:

ـ فيليس ستعود، لست بحاجة لأن تخافي، يا عزيزتي.

وكان على حق، ففي الصباح التالي، ذهبت معه إلى الشجرة وأودعا المبلغ، وخلال بضع ساعات، دخلت فيليس إلى منزلها، دون أن يبدو عليها أي سوء من التجربة التي مرّت بها. وأجابت على تساؤلات والدها:

ـ لم يكن الأمر سيئاً بالمرة، فقد عاملوني جيداً.

وسألتها لورين، وقد تذكّرت بأنها شعرت بأن شيئاً ما لم يكن ملائماً حول هذا الوضع.

ـ ألم تكوني خائفة؟ يجب أن تكوني، بالطبع؟

ـ كنت خائفة. ولكنهم كانوا متعقلين بحيث شعرت أنهم لن يأذوني أبداً. لقد كان قصدهم أنت، طبعاً تعرفين ذلك. اشكري روجر لأنه دفع المبلغ، ألن تفعلي؟ هل كان غاضباً؟ ماذا حدث بالضبط؟ أعلم أنه لم يدفع من البداية، عندما أرادوا مبلغ العشرين ألف.

ولسبب ما لم تقدر لورين أن ترد عليها. وتوجهت نحو الباب وقالت:

ـ تحدثي مع أبي، سيقول لك ماذا حدث.

وتجاهلت النظرة المتسائلة التي انتشرت على وجه شقيقتها واستدارت وغادرت الغرفة. وبعد أقل من عشر دقائق كانت فيليس تقف على باب غرفة نوم لورين، وواجهت الأختان بعضهما بصمت لفترة طويلة قبل أن تتكلم فيليس.

ـ لماذا تركتينا؟

ـ هناك سبب. لم استطع شرحه، ولا أستطيع شرحه الآن.

ـ لقد تغيّرت يا لورين.

ـ أنا تغيّرت؟ أنت التي تغيّرت يا فيليس.

ـ بأية طريقة؟

ـ لا أستطيع فهم الطريقة التي عدت بها.

ـ الطريقة التي عدت بها؟

ـ وكأنما لم يحدث شيء فظيع.

ـ ماذا كنت تتوقعين؟

ـ لا أعرف بالضبط يا فيليس، ماذا حدث بالضبط عندما أطلقوا سراحك؟

ـ لقد أنزلوني عند نهاية الشارع هنا، وأتيت إلى المنزل، وبما أن الباب كان مفتوحاً دخلت. هل توقعت مني أن أقرع الباب وأنتظر لتسمحوا لي بالدخول؟

ـ لقد تغيّرت. فأنت لم تظهري أية مشاعر عندما دخلت من الباب....

www.liilas.com/vb3

- اه... فهمت! إذاً أردت مني أن ألقي بنفسي بين ذراعيك وأبكي لاجتماع شملنا، هل هذا صحيح؟

وبدت السخرية في كلماتها، ولكن لورين أجابتها، ووجهها الجميل مرهق وشاحب، وأفكارها مليئة بالكارثة التي حلّت عليها وأجبرتها على ترك الرجل الذي أحبته وألزمتها بحياة تقرب من البؤس مع غريب أصبحت الآن موعودة له.

- لا أظن أنني توقعت أي شيء درامي كهذا يا فيليس. ولكني توقعت أن تظهري بعض المشاعر. فقد عانينا أنا ووالدك الكثير، كما تعلمين. لقد تخيّلتك متكورة على نفسك في غرفة صغيرة مظلمة، ترتجفين من البرد والخوف، خائفة مما سيحدث لك إذا لم ندفع الفدية... أظن أن الوقت الآن غير مناسب لهذه الذكرى، ولكن، كما قلت لك، توقعت أن أرى بعض المشاعر.

- ربما توقعت مني أن أرمي نفسي عليك وأتمتم بالشكر وعرفان الجميل...

- لا، ليس هذا، أنت تعلمين أن عرفان الجميل آخر شيء أريده منك.

- أتمنى هذا، لأنني أرى أنها غلطتك على كل الأحوال. يبدو أنك نسيت أن هذا لم يكن ليحدث بالمرة لو لم تنخطي لروجر.

- فيليس، لم أستطع نسيان الأمر، فوالدي دفعني بالتأكيد لأن لا أنسى.

- أظن أنك تشعرين أنك شهيدة في هذه اللحظات؟

- لقد اتخذت القرار الوحيد الممكن يا فيليس، وأعتقد انك كنت ستفعلين الشيء نفسه لأجلي.

- طبعاً كنت سأفعل. ولكنك الآن ستتزوجين مليونيراً؟.

- أعتقد انه مليونير نعم.

- لقد كان في حفلة خطوبتك، لقد كان معي ورقص معي ثلاث مرات.

- ما دخل هذا بذاك؟

- تعالي إلى المرآة يا لورين.

- ولم؟

- تعالي إلى المرآة.

وأطاعتها لورين، ونظرت الفتاتان إلى نفسيهما في المرآة المثبتة إلى الجدار. وسألتها لورين.

- حسناً؟

- ماذا تملكين، ولا أملكه أنا؟

واتسعت عينا لورين بالدهشة. وعاودتها لمحات من الذكرى لتأكيدات ذلك الإسباني أن شقيقتها تغار منها.

- أنا لا أفهم؟

- بل تفهمين. مرتين امتلكت فيهما رجلاً ثرياً، بينما أنا، التي أملك كل الصفات الجسدية التي تملكين، لا ينظر إليّ أحد، أقول لك مرة أخرى أن دون رامون كان معي، ولو كان يبحث عن زوجة، فلماذا اختارك أنت، المخطوبة لشخص آخر؟ ماذا جعله لا ينظر إليّ؟ فأنا جذّابة مثلك تماماً!

- بالنسبة لي، كان من الممكن أن تحصلي على دون رامون. يبدو أنك لم تستوعبي بعد واقع أنني تخليت عن رجل أحبه لأجلك!

www.liilas.com/vb3

ـ ولكن لتحصلي على رجل أفضل.. ما هذا الحظ؟

وخرجت الكلمات من فيليس قبل أن تتمكن من منعها. وعندما استدارت عن المرآت لتواجه شقيقتها لورين رأت دموع الغضب والاحتقار في عينيها. إذاً الإسباني كان على حق. لقد تكلم بالحقيقة عندما أكّد لها أن فيليس تغار منها.

ـ إذا لم يكن لديك شيء آخر لتقوليه لي يا فيليس، فاتركيني لوحدي من فضلك.

ـ وعضت فيليس شفتها.

ـ لقد آذيتك، أليس كذلك؟

ـ للمرة الأولى يا فيليس... للمرة الأولى في حياتنا!

وخيّم صمت طويل، والفتاتان تشعران بازدياد قلة الراحة. ثم استدارت فيليس دون أية كلمة أخرى وغادرت الغرفة. وراقبت لورين الباب وهو يغلق خلف شقيقتها، وفي مدى لحظات انهمرت الدموع من عينيها. ماذا حدث للسعادة التي كانت منذ بضعة أسابيع؟ فقد كانتا رفيقتين، تحسدهما الشقيقات الأخريات اللواتي لم يقدرن على الوفاق. وأدوين كان يزور منزلهما بانتظام لمدة سنة وأصبح عضواً مرحباً به في العائلة. وقالت لنفسها «أجل كل شيء كان سببه أنني خطبت لروجر» واستدارت لتأخذ منديلاً من أحد الجوارير، وجففت عيناها من الدموع. ماذا تنفعها الدموع الآن؟ ووضعت المنديل على الطاولة، ودخلت إلى الحمام. وبعد أن استحمت لفت نفسها بمنشفة وعادت إلى غرفة النوم. وبعد نصف ساعة اتصلت بروجر. وقالت له قبل أن يتكلم:

ـ لقد عادت فيليس إلى المنزل. وصلت قبل ساعة.

ـ دون أذى؟

ـ أجل، دون أذى.

هل كان هذا صوتها؟ الخالي من التعبير، ودون حياة.

ـ كم هذا مريح! أنت تشعرين بالراحة بالتأكيد!

ـ أشعر بالراحة لعودتها.

ـ لقد تركوها دون دفع الفدية بالطبع.

ـ لقد دفعت الفدية؟

ـ دفعتها؟ ولكن من دفعها؟

ـ سأقول لك كل شيء عندما أراك يا روجر. سآتي لمقابلتك فوراً.

ـ ولكن لورين، ماذا حدث؟ أنت تبدين... حسناً... مريضة... أو شيء آخر.

ـ سأكون معك بعد ساعة تقريباً، هذا يعتمد على الباصات....

ـ حبيبتي، سآتي إليك أنا...

ـ لا... أفضل أن آتي إليك. هناك عزلة في بيتك أكثر من بيتي.

ـ لورين.

ـ نعم؟

ـ هناك شيء رهيب في لهجتك. ماذا حدث؟

ـ لا أريد التحدث بالهاتف، روجر أرجوك احتفظ بفضولك لساعة أخرى.

ـ إذاً هناك شيء... هل هو شيء خطير؟

www.liras.com/vb3

- بالخطورة التي يمكن أن يكون بها. سأضع السماعة الآن....

- لا!

ولكنها وضعت السماعة مكانها، وارتدت معطفها، وحيّت والدها بينما كانت تمر أمامه في غرفة الجلوس، وغادرت المنزل.

وكان روجر ينتظرها على الشرفة عندما وصلت، وركض لملاقاتها وبلحظة سعيدة سماوية كانت بين ذراعيه. فتعلقت به وكأنها لا تريد أن تتركه أبداً، وعيناها مبللتان بالدموع، وفمها يرتجف، ثم أدارت وجهها عنه.

- حبيبتي... ماذا هناك؟ أنت مريضة....

- لست مريضة جسدياً يا روجر...

وتطلعت حولها. وأحبت أن تجلس في عريشة كانت غالباً تجلس فيها معه، ولكن الوقت الآن ليس لمثل هذا. وسألته «هل نستطيع الذهاب إلى مكتبك؟» ودون أية كلمة قادها إلى المنزل وعبر الممر الطويل إلى مكتبه الخاصة. وجذب لها كرسياً وجلس معها.

- يا حبيبتي، ماذا هناك؟

وبدأت تتحدث، وعلى الرغم من أن صوتها تهدّج عدة مرات، إلا إنها كانت متدفقة من الوضوح الذي روت فيه كل ما تريد قوله. وراقبت روجر، ورأت التغيير في تعبيرات وجهه وهي تتفوه بكلماتها، وعندما علم أنها ستتزوج "رجل الذي دفع الفدية.

- دون رامون؟... لورين كيف بإمكانك أن تتزوجي رجلاً كهذا؟

- كهذا؟ ماذا تعني؟

- أجنبي؟

- العديد من الناس يتزوجون أجانب في هذه الأيام.

- تبدين هادئة حول الأمر كله؟

- ليس من داخلي يا روجر، ليس من الداخل!

- ستتزوجينه، وأنت تحبيني بهذا القدر؟

- ليس لديّ خيار آخر يا روجر، كان عليّ أن أعده.....

- هذا ابتزاز، على كل، لا يعرفك بعد تماماً... ليلة خطوبتنا أحدهم مازحني حول الطريقة التي كان ينظر بها إليك. تذكّرت.. لقد كنت غائبة في نفس الوقت الذي كان هو غائباً فيه. لاحظت ذاك لأن بول كان يبحث عنه وقلت له إنني أبحث عنك أيضاً! لقد كنت في الحديقة! هل كان في الحديقة أيضاً؟

- لقد كنت معه في الحديقة.

- كنت معه... وماذا كنتما تفعلان؟ إذاً، لقد استسلمت له!

- روجر... هذا لا يهم الآن... أنا مجبرة للزواج بهذا الرجل...

- يبدو لي... أنك تريدين فعلاً الزواج منه!

- أنت على خطأ... وكما قلت لك، الأمر لم يعد يهم الآن. جئت لأودعك و... ولـ... لأقول لك أنني أحبك و.... وسأحبك دائماً... أحبك. ولن أحب سواك.

كانت لهجتها هادئة وصادقة رغم حاجتها للحياة والتعبير.

www.liilas.com/vb3

وتطلع روجر إليها وتصوّرت أنها سمعت تعبيراً عن التعاسة يصـ من مكان ما في أعماقه. وقال لها بصوت عال:

ـ لو أنني أحضرت المال لما حدث كل هذا!

ولم تقل شيئاً حتى ولا أن الخاطفين قبلوا في النهاية خمسة عشر ألفاً. وتكلم ثانيـة و... سبب لـه الغضب أن يقول شيئاً تعلم أنه سيندم عليه في النهاية. ولكنها أخيراً استطاعت الخروج، ولم يعرض عليها إيصالها بل ودعها وداعاً مختصراً وتركها دون كلمة أخرى.

كانت الساعة السابعة، ولورين تنتظر وصول دون رامون الذي كان سيأخذها لتناول العشاء في أكثر الفنادق كلفة في البلد. واعداً أباها بالاحتفال لإطلاق سراح فيليس... الاحتفال... وتساءلت بحرارة بماذا تحتفل.. أتحتفل بالتوقعات المظلمة لحياتها مع رجل لا تستطيع أن تحبّه أبداً؟ ودخلت فيليس إلى الغرفة ونظرت لورين إليها وسألتها:

ـ متى سيأتي أدوين؟ هل اتصلت به؟

ـ لقد افترقنا.

ـ افترقتما؟ ولكن هذا مستحيل؟ لقد كان أدوين كثير القلق عليك!

ـ قلق أم لا، لقد تخلّى عني. لقد اكتشفنا أننا لا نناسب بعضنا.

ـ لا أصدق هذا، فيليس، لم تخبريني بكل شيء. هل اتصلت به لتبلغيه أنك ستصلين إلى المنزل؟

واستدارت فيليس ثانية، والتقطت زهرة لتقطعها بين أصابعها وقالت:

ـ لقد علم أنني عدت، نعم!

ـ هل رأيته؟

وبشكل غريزي حملتها أفكارها إلى تصرفات ادوين عندما علم أن فيليس مخطوفة، إذ بدا مضطرباً، ولكن ليس كما تتوقع لورين منه.

ـ لقد رأيته.

ـ فيليس... ما الأمر؟ لماذا لا تنظرين إليّ؟

واستدارت شقيقتها والتقت عيناهما. واحسّت لورين بعدم الراحة. وتذكرت شعوراً مماثلاً مرت به من قبل.

ـ ليس هناك من شيء يا لورين! لقد قررنا الافتراق وهذا كل شيء. وهذا الأمر كان مشتركاً.

ـ لقد قلت لتوك ان أدوين تخلى عنك. يبدو أن الوقت قد فات لكي يتخلى عنك يا فيليس، في اللحظة التي خرجت فيها من محنة قاسية...

ـ أوه... لأجل السماء كفي عن الضرب على وتر محنتي! ألا ترين أنها شيء لا أريد أن أتذكره؟ أليس لديك مشاعر؟

وتوقفت فيليس عندما دق جرس الباب. ووقفت لورين وجهها مبيضّ وعيناها تنظران بحيرة غامضة إلى شقيقتها.

ـ منذ البداية كان هناك شيء لم أستطع أن أفهمه. وأنت لم تذكري أي شيء حتى عن الاختطاف نفسه.

www.liilas.com/vb3

ـ لقد ألقوني داخل سيارة بينما كنت أغادر المكتب. لقد قلت لك، لا أريد التحدث حول الأمر.

وأدارت رأسها بينما كان دون رامون يدخل الغرفة.

ـ لقد انفتح الباب وأنا أقرع الجرس. وهكذا دخلت...

وتوقف عن الكلام لحظة والتفت نحو الفتاة التي سيتزوجها.

ـ يبدو أنني قاطعت شيئاً ما؟ أكنت تتشاجرين مع شقيقتك؟

ـ أنا مستعدة، سنيور.

والتقطت حقيبتها عن الكرسي.

ـ كنتما تتشاجران. حول ماذا؟

ـ لم نكن نتشاجر فعلياً. ولكن فيليس كانت غاضبة من تحدثي عن تجربتها القاسية.

ـ هذا معقول...

ـ نعم أعتقد ذلك، ومع هذا...

ـ مع هذا، ماذا؟

ـ لماذا تكون غاضبة؟ من الطبيعي أن أتكلم حول الأمر.

ـ ماذا قلت لها بالضبط؟

ـ لقد سألتها عن الاختطاف الفعلي نفسه. ولكنها تحدثت عن فصل آخر من الاختطاف.

ـ الاختطاف الفعلي... هل شرحت شيئاً حول الاختطاف؟

ـ لقد ذكرت فقط أنها ألقيت داخل سيارة بينما كانت تغادر المكتب.

ـ لا أكثر... ولا أقل.

وبدا للورين أن دون رامون نفسه يتصرف بشكل شاذ حيال

المسألة. وقالت له وهي تتساءل عن نوع ردة الفعل الذي سيسببه له قولها:

ـ ادوين تخلى عن فيليس.

ـ لم يكونا مناسبين لبعضهما، ولا بأية طريقة بالمرة.

ـ كانا مناسبين، فأنا أعلم ذلك أكثر منك، سنيور...

ـ ألا تظنين إن الوقت قد حان لتناديني رامون، فأصدقائي ينادونني به، لذلك من الطبيعي أن تناديني زوجتي هكذا.

ـ زوجتك...

والتفت إليها برأسه الأسمر بسرعة، ولكنها استدارت ولم يستطع أن يرى التعبير على وجهها.

ـ أنت لا تحبين إمكانية أن تصبحي زوجتي. يبدو أن لديك أفكار عني بأنني شيء «كالغول». ولكن طالما تعاملينني باحترام وتتصرفين بلياقة كسنيورا إسبانية، ستنجح في زواجنا. أعدك بذلك!

ـ سأعاملك باحترام، ولكنني أعترض على استخدامك لكلمة «تصرف لائق».

ـ للأسف، لأنني سأستخدمها ثانية.

ـ يبدو أنك لا تمانع بأن لا يكون هناك أي حب بيننا أبداً.

وساد الصمت، وكأنما لم تتكلم بالحقيقة كاملة، ومرة أخرى وجدت نفسها تتساءل عما إذا كان يهتم بها.

ـ لن نخوض بهذا الأمر. هل تبدو أختك متكدرة من تصرف أدوين؟

www.liilas.com/vb3

ـ لا أعرف. هناك شيء غريب غير عادي بأمرها.

ـ شقيقتك غريبة الأطوار.

ـ هل حضرت الترتيبات اللازمة لزواجنا؟

ـ طبعاً. أخبرتك عما أنويه هذا الصباح.

هذا الصباح... كم بدا هذا اليوم طويلاً! وكم حدث فيه الكثير! وها هي الآن تتناول العشاء مع الرجل الذي سيحملها بعد أيام إلى قصره في إسبانيا!

وعندما عادا إلى المنزل، ودعها دون أن يقول كلمة عن الزواج. كان والدها في فراشه، وفيليس في غرفة الجلوس تستمع إلى الموسيقى وسألتها فيليس:

ـ هل قضيت وقتاً ممتعاً؟

ـ كان وقتاً مسلياً.

ـ مليونير، وتتصرفين هكذا؟

ـ يبدو أنك نسيت إنني لا أحبه.

ـ إنه أكثر الرجال وسامة ممن قابلتهم، ومن السهل الوقوع في حبه.

ـ لا تهمني المظاهر.

ـ ليس المظاهر وحدها، ولكن عندما تجتمع مع المال الذي يملكه دون رامون... ألم نعد أنت وأنا صديقتين يا لورين.

ـ لقد انتهت صداقتنا، وهذه ليست غلطتي. لست أفهم ما حدث لقد كنا سعيدتين منذ وقت قصير.

ـ أنا ذاهبة للنوم.

ودون كلمة أخرى غادرت فيليس الغرفة وتركت لورين واقفة هناك، وشعرت بثقل في قلبها حتى إنها وضعت يدها عليه. ماذا تبقى لها لتعيش من أجله الآن؟ هل من الممكن أن تهتم بدون رامون مستقبلاً؟ لا، لن تستطيع لأنها تحب روجر، وستستمر بحبه. ووجدت نفسها تبحث في هذه الإمكانية حتى بعد أن انزلقت بين أغطية الفراش ووضعت رأسها على الوسادة. وقررت أن تتحدث مع فيليس، فهي تريد أن تستمر صداقتهما. لأنها كانت تأمل بأن تحصل على زيارة شقيقتها ووالدها حيث ستعيش في إسبانيا.

www.liilas.com/vb3

٦. اكتشاف الحقيقة

وقفت لورين على الشرفة وحدقت بالحدائق الغنّاء الواسعة وأفكارها تجول دون قيد بأيامها الأخيرة في إنكلترا، وبكل ما حدث في تلك الساعات القليلة ما بين زواجها من رامون وصعودهما الطائرة التي أقلتهما إلى قصره في إسبانيا، كازادو كابريرا، القابع مثل الجوهرة في قلب وادٍ أخضر معشوشب تحت أقدام الجبال. أدارت رأسها بينما كان زوجها قادماً من المنزل ومتوجهاً نحو المكان الذي تقف فيه.

ـ صباح الخير يا لورين. لقد استيقظت باكراً.

ـ لم أنم جيداً.

ـ وأين كانت أفكارك؟ ألا تزالين تحلمين بإنكلترا بعد شهر من إقامتك في إسبانيا؟

ـ أنت على حق لقد كنت أفكر بمنزلي...

ـ هذا هو منزلك. وكلما كان قبولك بهذا أسرع ستبدأين بإيجاد السعادة والرضى!

ـ أعتقد أنني مع الوقت سأصل لأن أعتبر هذا القصر منزلي.

ـ أخبريني عن هذه الأفكار.

ونظر إلى وجهها الشاحب ولكن الجميل ثم قطب وهز رأسه وظنت أنها سمعت تنهيدة قد خرجت من أعماقه.

ـ أظن أنك تعرف ما هي الصور التي في أفكاري يا رامون.

ـ تعنين تلك الساعات القليلة الأخيرة؟ بعد ان اكتشفت أن الاختطاف كان زائفاً وأن الأمر هو مؤامرة دبرتها أختك بنفسها. لقد قررت عندها أنك لو أعدت لي المال ستصبحين حرة من التزاماتك وأن وعدك لي ممكن أن تحتثي به بسهولة... وهكذا.

وأخذ قطعة من غصن عن الشجرة وقطعه إلى نصفين بين أصابعه الطويلة النحيفة.

ـ لقد كنت ستجعلين مني أضحوكة على الرغم من أنك كنت منجذبة لي.

ـ لم أكن كذلك!

ـ لا تنكري انني أملك بعض السلطة عليك وكلانا يعرف ذلك لذا لا داعي للتظاهر.

وصمتت وعيناها تحدقان على الرغم من عدم رؤيتها لشيء. وفكرت بتلك الرسالة التي تلقتها من أدوين طالباً منها أن تلاقيه. ألم يكن هذا منذ شهر؟ واعتقدت لورين أنه كان ينوي أن يطلب منها أن تتحدث من أجله مع فيليس لترجوها أن تعود إليه ولتقول لها إنه قد أدرك الآن أنه قد ارتكب غلطة فادحة بالتخلي عنها. وقال لها زوجها بصوت قطع حبل تفكيرها:

ـ بماذا تفكرين الآن؟

ـ بأدوين.

ـ لو أنه لم يقرر أن يتكلم... كنا سنكون سعداء الآن لولاه.

www.liilas.com

ـ الحقيقة كانت ستظهر في يوم ما.

ـ فيما بعد... ولن تكون ذات فرق عندها.

ـ ألا يزال عندك أمل أني سأحبك. ولكني لن أفعل. فأنا أحب روجر.

لماذا تتمنع بالإساءة إليه؟ فهي لا تكرهه، ولم تكرهه أبداً. هي لم تحبه وكانت تخاف منه ولكن لم يكن في قلبها ولا للحظة أية كراهية له.

ـ لم تقولي لي أبداً كل ما حدث في لقائك مع أدوين. لقد التقيته في مقهى ما. أليس كذلك.

ـ لقد طلب مني أن ألاقيه هناك، لقد قلت لك هذا.

ـ وأعترف لك أن فكرة الاختطاف كانت فكرة شقيقتك. لقد سبق وقلت لك انها تحسدك لقد حذرتك لأن تكوني منتبهة.

ـ أعترف بأنك حذرتني...

ـ وكل ما فعلتيه أنك تجاهلتِ الأمر.

ـ كانت غلطة وأدركت ذلك في ما بعد. لقد جلسنا في المقهى وأتذكر أنني قلت إن الأمر كان غامضاً وقال أدوين ان من المفترض انني أعلم أنه وفيليس قد افترقا بعد ذلك أخبرني لماذا...

وارتجف صوتها وشعرت برعدة باردة تغمر جسدها كله نفس الرعدة التي خبرتها عندما قال لها أدوين إن الاختطاف كان فكرة فيليس. وتابع أدوين يقول:

ـ لقد كانت تغار منك منذ أن أخبرتيها أنك سوف تصبحين ثرية وذات لقب. لقد مرّت عليها فترات كانت تنفجر بالبكاء

قائلة إنكما يجب أن تكونا دائماً متساويتين وصديقتين، ولكنك ابتعدت عنها وأصبحت تنظرين إليها من أعلى.

ـ هي تعلم أنني لم أفعل هذا أبداً!

ـ لقد فكرت هكذا. وفجأة جاءتها هذه الفكرة بعد أن قرأت في الجريدة حول اختطاف إحدى الوارثات... كنت أحبها كثيراً بحيث أنني وافقت معها على الفكرة لأنها هددت أن تتركني إذا لم أفعل وكنت أنا من اتصل بروجر ثم بك. وكنت أنا من طلب منك المال بعد أن علمت أن روجر لن يدفع وكنت أنا من وضع الرسائل على أرض الردهة في غفلة عنك وعن والدك. لقد كان الأمر سهلاً يا لورين، ولكن كان في ذهني سؤال، ماذا كنا سنفعل بذلك المال المسروق. وقالت فيليس إننا سنذهب في رحلة بحرية، ولكنني كنت منزعجاً جداً ولم أستطع أن آكل أو أنام. بعد ذلك عرفت منها بأنك ستقومين بهذه التضحية الرهيبة وأنك ستتخلين عن الرجل الذي تحبيه ووافقت على الزواج من هذا الغريب. ولم أعد أهتم بها يا لورين، لقد كرهتها! هل تفهمين تغيّراً مفاجئاً كهذا؟ لقد كرهتها ولم أعد أريد أن أرتبط بها لقد انتزعت مني وعداً بعدم إخبارك عن خيانتها ولكنني لم أستطع المحافظة على الوعد كان ضميري يجرني إلى الجنون! كان عليّ أن أخبرك بالحقيقة ـ حتى تستطيعين إعادة حياتك إلى وجهتها الصحيحة ثانية. لست بحاجة للزواج من ذلك الإسباني الآن!

ولم تكن لورين قادرة على أن تقول شيئاً لفترة طويلة، لأن عقلها كان يحاول بيأس أن يرفض ما قيل لها، فليس من الممكن أن تفعل شقيقتها هذا الشيء. ولكن في النهاية تقبل عقل لورين كل شيء

www.liilas.com/vb

وبذلك توضحت الأمور ـ ارتيابها وعدم تصرّف ادوين كما يجب عليه. والطريقة التي رجعت بها فيليس، وكأنما لم يحدث شيء. وأخيراً كسرت لورين الصمت الذي حل بينها وبين أدوين بعد أن ذكر «ذلك الإسباني» فقالت:

ـ لقد تزوجت وستطير إلى إسبانيا هذا المساء.

وأصبح وجه أدوين أبيض واغرورقت عيناه بالدموع. وبينما هما يفترقان خارج المقهى توسل إليها إدوين لتسامحه، وسامحته ولكنها لم تقدر أن تقول المزيد وتركته دون أن تودعه. وجاءها صوت رامون الهادىء بعد بضع لحظات من انتهاء حديثها.

ـ إذاً هذا ما حدث في المقهى ذلك اليوم. لقد قلت إن عيناه امتلأتا بالدموع ولكنك لم تقولي ماذا قال عندما أخبرته أنك تزوجت؟

ـ لقد قال ـ إنه قد ـ . . . . ساعد في تدمير حياتي.

ـ وهل هذا صحيح؟ هل ساعد في تدمير حياتك؟

ـ بالطبع، فلو لم يحدث هذا لكنت ما زلت مخطوبة لروجر.

ووقف رامون للحظة طويلة ينظر إليها بعينين باردتين خاليتين من التعبير، ثم قال وهو يستدير:

ـ في يوم من الأيام يا لورين، سوف تخرجيني عن طوري وعندما يأتي ذلك اليوم ستشعرين بالطعم الحقيقي لغضبي!

وراقبته وهو يبتعد على طول شرفة أخرى مفتوحة على بركة سباحة مستطيلة، وعندما اختفى عن ناظرها سمحت لتفكيرها أن ينطلق ثانية. واستعادت ذكرى المشهد بينها وبين شقيقتها عندما

كشفت لها قبل ساعتين من سفرها أن أدوين قد اعترف لها. وانهارت فيليس لتعترف بغيرتها. ولكنها كانت قلقة حول والدهما متوسلة للورين أن لا تتصرف تصرفاً يؤذيه. وطالبتها لورين بالمال فجلبته لها كان لا يزال في نفس الورقة البنية التي لفته بها. بعد نصف ساعة حضر رامون استعداداً لأن يأخذها إلى المطار فقالت له وهي تمد يدها بالمال:

ـ أنا أعيد لك مالك فأنا لست ذاهبة معك إلى إسبانيا رامون.

ـ ستذهبين. . من أين حصلت على هذا المال؟

فشرحت له الأمر باختصار قدر الإمكان منهية قولها مرة ثانية بأنها تعيد له المال وبما أنها لم تعد مدينة له لن تذهب إلى إسبانيا وأن الزواج من الممكن أن يلغى وتراجعت خطوة إلى الوراء لتضع مسافة بينهما عندما لاحظت تغيّراً في الانطباع على وجهه فالغضب والالتماع في تلك العينين السوداوين كانتا تنمان عن نوايا شريرة وكان هذا كافياً لإرهاب أشجع القلوب وصرخ بها وهو يأخذ الرزمة منها ويرميها عبر الغرفة.

ـ أنت زوجتي. أقول لك زوجتي! ومكانك معي!

ـ لا تصرخ هكذا فأبي في الغرفة الأخرى ولا يعلم شيئاً عن الأمر. . .

ـ لا يعلم شيئاً؟ هل أخفيت نشاط فيليس الإجرامي عنه؟

ـ نعم. . بالطبع فهو يحب فيليس ولو علم الحقيقة ستقتله الصدمة لقد حذرنا الطبيب من أن ينفعل.

ـ هكذا إذاً. . . حسناً، أيتها الزوجة. . . . ستأتين معي إلى إسبانيا أو هل أذهب إليه وأعطيه الصدمة التي قد تقتله؟

www.liilas.com/vb6

- وهل تفعل هذا؟
- وهل هذا أقل نبلاً مما تريدين أن تفعليه؟
- لن أسامحك أبداً... أبداً... طالما أنا حيّة!
- هذا... أكثر إعلان غير متعقل سمعته.

وكان هذا آخر شيء يقوله والتقط الحقائب ووضعها في السيارة وخرجت لورين بعد توديع والدها لتنضم لرامون الذي كان يجلس على مقود سيارته.

كانت الشمس قد ارتفعت عالياً في السماء بينما كانت لورين تقف على الشرفة. ووقعت أشعتها على تلك الحدائق الجميلة والبحيرة والأشجار، وحوافي الزهور للبرك الثلاث الموجودة في أمكنة مختلفة. وجاءها صوت ماريا مدبرة منزل رامون يقول:
- الفطور جاهز يا سنيور.
- شكراً ماريا.

والتفت إلى لورين وهو لا يزال في بركة السباحة.
- هل تنضمين إليّ.
- لا، سأغطس في الماء فيما بعد.
- ألا زلت تفكرين؟
- كنت لا أزال أفكر بإنكلترا.

- الندم لا ينفع. عيشي لأجل الحاضر والمستقبل، لا لأجل الماضي، فالماضي مات. إنه كالغبار الذي يمشي عليه الإنسان ويتركه خلفه وغالباً ما يكون شاكراً.
- أنا لم أترك إنكلترا شاكرة.

- يوماً ما ستعيدين النظر بكلامك يا لورين.
- لا أعتقد ذلك.
- تعالي إلى الفطور، ستكونين أفضل عندما تأكلين.

كان الفطور جاهزاً في غرفة طعام صغيرة وأنيقة تطل على جزء من الحديقة تتألف من حديقة خضراء بأطراف مليئة بالعشب حيث السوسن البري ينمو بغزارة بين أزهار «الأوركيدية» وأزهار البيرانوم والبيتونيا المنتظمة بأشكال نجوم وهلال القمر.

وكانت الطاولة تزدان بالكؤوس الكريستال والفضة، والطعام كان مكلفاً جداً.
- إنك لا تأكلين شيئاً.
- لا أستطيع القول أنني جائعة.
- ومع ذلك كلي شيئاً.
- لا تصدر إليّ الأوامر هكذا يا رامون، فإذا كنت أريد أن آكل فسآكل. وإلا فلا.
- إذا لم تكوني حذرة يا لورين سنبقى في المنزل هذا اليوم.

وتنهّدت قليلاً وقبلت منه بعض اللحم والكلى.
- هذا يكفي، شكراً لك يا رامون.
- لقد قلت لك أن لا تفكري في الماضي يا لورين، فكلما روضت نفسك على القبول بشكل أسرع كان أفضل.
- كيف أستطيع نسيان ما كان سيحدث؟ الزفاف مثلاً وثوب العرس. والاستقبال بعد ذلك ومئات الضيوف المدعوين وشهر العسل في تاهيتي.

www.liilas.com/vb3

ـ أستطيع أن آخذك إلى تاهيتي إذا كان هذا مهماً لك.

ـ أردت الذهاب مع روجر، لا معك أنت.

كان يأكل اللحم ولكنه توقف ووضع الشوكة فوق الصحن.

ـ إلى متى يجب أن أستمع إلى تذمراتك حول الرجل الذي كنت مخطوبة له؟

ـ كان يجب أن تدرك أنني...

ـ لقد كنا متزوجان في الوقت الذي استطعت فيه إرجاع المال.

ـ كان بإمكانك أن تتقبل الأمر على كل الأحوال.

ـ لقد عقدت صفقة يا لورين وعندما عرضت عليك مال الفدية أبديت لي بعض الملاحظات عن لطفي أو ربما كان كرمي. ومهما يكن كنت سعيدة جداً لتقبلي العرض ولتعقدي اتفاقاً معي. وبعد أن عقدت الاتفاق أردتي أن تلغيه لأنك فجأة أصبحت في وضع يمكنك من ذلك ولو لم تتغيّر الظروف عندها كان سيجري كل شيء على ما يرام بيننا، أليس كذلك؟

ـ لو كنت رجلاً مهذباً لتفهمت ما كنت أشعر به، ولكنت حررتني من الصفقة التي عقدتها معك.

ـ إذاً لست رجلاً مهذباً؟ إنها المرة الأولى التي يقول فيها أي إنسان مثل هذا عني.

ـ واحمر لونها وعلمت أنها يجب أن تعتذر منه ولكن وجدت أن الأمر مستحيل وتناولا بقية الوجبة وهما صامتين. حتى عندما كانا في السيارة ورامون يقودها لم يدر أي حديث بينهما، وأخيراً أدارت رأسها، لتنظر إلى جانب وجه زوجها، ولاحظ نظرتها فالتفت بسرعة ثم أعاد انتباهه إلى الطريق قائلاً:

ـ هل تتمتعين بالرحلة؟

ـ نعم.

أجابها بتهكم:

ـ احذري من كثرة الحماس.

ـ إنها فعلاً رحلة رائعة. لقد قلت انني أتمتع بها.

وفاجأها رامون بإيقاف السيارة عند منظر عصفور يطير فوق عشه وقال لها وقد بدا أنه نسي الخلاف الذي حصل بينهما حتى الآن:

ـ هل أنت مسرورة برؤية العش؟ إنه رائع جداً ومثبّت جيداً على أغصان الذرة مثل خيوط العنكبوت.

ـ خيوط العنكبوت! كم هذا رائع! أحب أن أراه.

ـ سنعود فيما بعد عندما تكون الفراخ قادرة على الطيران فلا نستطيع إزعاج الأبوين الآن.

وأقلع بالسيارة بهدوء عائداً إلى الطريق. بعد هذا الكسر للجليد بينهما تبادلا الحديث حتى وصلا إلى المدينة.

ـ سنتناول الطعام أولاً.

ودخلا إلى مطعم يؤلف جزءاً من مباني الحمراء القديمة.

ـ لقد بني هذا المكان أصلاً كدير بعد إعادة احتلال «غرناطة» وأعاد هذا القول إلى فكر لورين تلك الملكيات الشهيرة، فرديناند وإزبيلا اللذين هزما «المور» ونجحا في إدخال إسبانيا في المسيحية، وبعد انتهائهما من الطعام نظرت لورين عبر الطاولة وابتسمت قائلة:

www.liilas.com/vb3

ـ لقد كان هذا رائعاً، شكراً لك لأنك جلبتني إلى هنا يا رامون.

ـ من دواعي سروري أن أمنحك السعادة يا لورين.

وبينما هما ينهضان عن الطاولة مدّ يده إليها فوضعت يدها في يده، وخرجا.

ـ والآن إلى زيارة قصر الحمراء، لا أدري ماذا تتوقعين يا لورين لكن يجب أن أحذر من أن لا يخيب أملك من المنظر الخارجي الرصين للقصر.

٧. عينان حزينتان

دخلا قصر الحمراء المبني في القرن الرابع عشر، عبر بوابة تدعى «باب العدالة»، وبعد أن اشترى رامون التذاكر رفض أن يرافقهما دليل. وتجولا في قاعة مفتوحة مزخرفة بأبهة إلى أخرى، ولورين تبدي الإعجاب وتعلق على جمال الجدران المخرّمة كالدانتيلا والقاعات التي تزينها النوافير الجميلة، التي يبدو ماؤها يلتمع تحت أشعة الشمس، مرسلاً شعاعاً كقوس القزح ليزيد الفتنة والجو الرومانسي إلى ذلك المنظر الساحر. وكسرت لورين الصمت الطويل لتسأله وهي تدير رأسها بابتسامة:

ـ ما هي هذه النقوش العربية؟

ـ أكثرها يدور حول نفس الكلام، «الله وحده الغالب».

ـ أتساءل عما كانت الحال هنا عندما كان السلاطين يسكنون فيها؟ وكم كرهوا واقع هزيمتهم في النهاية!

ـ إنه تاريخ مثير... فرديناند وإيزابيلا تركا طابعهما على إسبانيا.

ـ هما مدفونان هنا، بالطبع؟

وهز رأسه بالإيجاب، ولكنه قال إن أفراد هاتين العائلتين

www.liilas.com
فراشة الحب

المشهورتين كانوا يفضلون أن يبقوا في مدافنهم البسيطة، ولكن أحفادهم رغبوا في نقل رفاتهم إلى هذه المدافن التي بنيت خصّيصاً لهم.

للمرة الأولى منذ قدومها إلى إسبانيا شعرت بالراحة التامة. وكان من حولها مجموعات من السواح يستمعون إلى المرشدين الرسميين يشرحون لهم التاريخ كالببغاوات.

ـ هذه الموسيقى التي تنبعث من صوت الماء يجب أن تكون أحد الأسباب لما أشعر به....

ـ صوت موسيقى الماء.... النوافير هنا دائماً تعطي موسيقى لا نهاية لها..

وهل هناك موسيقى أجمل من صوت الماء الجاري؟

ـ إنها... مريحة.

ـ وهل أنت بحاجة للراحة؟

ـ أحب أن أشعر بالراحة. وهذا طبيعي.

ـ الراحة... كلنا نحب الراحة يا لورين. إنها حالة فكرية تعطينا الرضى في حياتنا.

ـ ولكنني غير راضية في حياتي، أظن أن «قصر الحمراء» يكتنفه بعض الحزن.

ـ كل القصور التي عرفت الفخامة في ماضيها، ثم خسرته، تبدو حزينة لي. أنت نفسك تبدين حزينة يا عزيزتي، وهكذا فعيناك تجدان الحزن في كل ما حولك... ربما كان يجب أن لا آتي بك إلى هنا...

ـ آه... لا... كان يجب أن تحضرني. كان سيفوتني زيارتها.

أحب أن أشاهد كل روائع إسبانيا، لأنني قرأت عنها وأعرف أنها جديرة بالزيارة.

ـ كان من الممكن أن تأتي إلى هنا في وقت آخر، ومع شخص آخر.

ـ شخص آخر.

ـ سيكون لك أصدقاء، آمل ذلك. يوم الجمعة القادم سأقيم حفلة عشاء لبعض الأصدقاء، ذلك لأجل أن تلتقي بزوجاتهم، وبناتهم. وأنا متفائل بأن تحبي بعضاً منهن ليصبحن صديقات لك.

وحدّقت به، مندهشة من انزعاجه حول حاجتها لأصدقاء في هذا البلد الذي جلبها إليه.

ـ هذا لطف منك... لا أحب أن أزور أي مكان مع أي كان غيرك، رامون. أريدك أن تأخذني أنت إلى مثل هذه الأماكن.

ـ في هذه الحالة يا عزيزتي، أنا دوماً في خدمتك.

ـ رامون، أنت تتكلم مع زوجتك.

ـ أنت لا تشيرين غالباً إلى كونك زوجتي.

وكانا يتنقلان وقد اقتربا من جناح «الملكة بودوار». وأضاف عندما لم يسمع منها رداً.

ـ أليس لديك تعليق على ما قلته؟

ـ لم يمضِ زمن على زواجنا بعد.

ـ هذه حجة. فأنا دائماً أفكر بنفسي كزوج لك.

ـ ولكنك أنت أردت الزواج مني. ولم يكن الأمر هكذا بالنسبة لي.

www.liilas.com/vb3

ـ هل يجب أن تستمري في ذكر ظروف زواجنا يا لورين؟

ـ لا، فهذا لا يجدي نفعاً، كما قلت أنت عدة مرات.

ـ قلت أنني أردت الزواج منك. ولكنك لم تزعجي نفسك أبداً بالتساؤل عن السبب في رغبتي هذه.

والتفتت إليه بسرعة، وقد لاحظت شيئاً في لهجته لم تفهمه وتفحصت وجهه للتفتيش عن الحقيقة، وقالت:

ـ أعتقد أن السبب هو رغبتك بي و... ذلك العرض... أعني أول عرض...

كان من الواضح يومها أن اهتمامك بي كان فكرته لساعة من التسلية.

ـ أعترف بذلك، ولكن خلال تلك السهرة، بدأت أفكر بك كزوجة لي، وعندما خرجنا إلى الحديقة في المرة الثانية، كنت قد صممت رأيي على أنك المرأة الوحيدة في العالم التي تناسبني.

ـ ولكنك لم تشعر بالحب... الرغبة فقط.

ـ لقد كان هناك انجذاب بيني وبينك يا لورين. وكلانا يعرف ذلك. وكما قلت يومها، كان مقدراً لنا أن نلتقي، وأن نتزوج. إنها «القسمة».

ـ كيف يعيش الناس دون حب؟ الرغبة الجسدية قد تجذبنا ولكن لفترة قصيرة ولكن ماذا بعد ذلك؟

ـ هذه المرة الأولى التي تعترفين بها بأن رغبتك بي هي بنفس قوة رغبتي بك.

ـ من غير المجدي أن أنكر. لنتابع سيرنا، هناك الكثير لنشاهده بعد.

وهكذا تغيّر الموضوع، ولم يعد شخصياً. وتجولا في «قاعة الأسد» التي كانت في تلك الأيام المكان الخاص لحريم السلطان.

بعد مغادرتهما قصر الحمراء عبر «القيصرية» التي شرح لها رامون أنها قرية بنيت على الطراز «الموري» في قلب «غرناطة» كسوق عام. توقفت عدة مرات عند محال صغيرة فيها بعض الفنون «التبيكو» والرسومات التي جذبت انتباهها. واشترت بعض الانتيكات كتذكار لإرسالها إلى بعض الأصدقاء. وعندما بدأت الشمس بالمغيب قال رامون:

ـ حسناً، هل اكتفيت؟ لنعد أدراجنا إلى المنزل.

وركبا السيارة عائدين على نفس الطريق التي أتيا منها.

بدأ الظلام يهبط خلف قمم جبال عالية، أشار إليها رامون على أنها ملك له. وأشارت إلى قرية بعيدة «ولكن هذه القرية هي في التلال» فقال رامون: «إنها أيضاً ملك لآل كابريرا».

ـ وهل تملك كل هذا إضافة إلى ممتلكاتك الأخرى؟

ـ نعم.

ـ وشاطىء البحر؟

ـ أملك إحدى عشر ميلاً منها. وأنا أنوي أن استثمرها عما قريب. سآخذك هناك يوماً يا لورين. ففيها بعض المباني الجذابة ذات قباب مكسوة بخشب الأبنوس صنعت من مراكب متحطمة. بعض أثاثها صنع من الحطام أيضاً، ولكن كله حالياً موجود في مستودعات القصر. وأنا أفكر بإنشاء مركز سياحي هناك، فيها فندق من أكثر الفنادق جاذبية وامتيازاً. مع ميناء لليخوت.

www.liilas.com/vb3

الشاطىء هناك هو من أكثر الشطئان الرملية جمالاً، رماله ذهبية، لا تشبه تلك الرمال الرمادية إلى الشرق منه.

وأدارت رأسها إليه، وهي مذهولة بالتغيير المفاجىء وغير القابل للتصديق من التصرف الجامد البارد لدون إسباني إلى ما يشابه اللهفة الطفولية لرجل على وشك الدخول في ما يشبه المغامرة الجديدة والمشوقة. فقالت:

ـ تبدو وكأنك إنكليزي التفكير.

ـ طبعاً، لهذا اخترت فتاة انكليزية كزوجة لي.

ليلة العشاء الذي كان يقيمه رامون لأصدقائه، وقفت لورين تتأمل فخامة غرفة الطعام ذات السقوف العالية وهي تلتمع بالكريستال والفضة والبورسلان المرسوم يدوياً. والمفارش مشغولة بالحرير على خلفية من أفضل الأقمشة، مفروشة على الطاولة الكبيرة. وجعلها صوت زوجها تقفز وقد جذبها عن تفكيرها قائلاً:

ـ لقد حان الوقت لتلبسي يا عزيزتي. أحب أن أراك في ذلك الثوب من الحرير الصيني المطرز هذه الليلة.

ـ كنت أنوي أن ألبس ثوب الدانتيلا الأبيض...

ـ بل الحرير الصيني، أريدك أن تظهري أنيقة بشكل خاص وأن تبدي شابة صغيرة.

وهكذا ظهرت بعد ثلاثة أرباع الساعة، أنيقة الجمال في الثوب الطويل ذو الياقة والأكمام البرتقالية اللون. وعلى شعرها وضعت شريطاً فضياً عقدته فوق أحد أذنيها، وعلى عنقها عقد ماسي كان رامون قدمه لها هدية الزفاف.

ـ أنت تبدين... جميلة بشكل لا يصدق! أنت بهية الطلعة حتى أنني قد لا أسمح لك بأن تستديري مبتعدة عني يا لورين.

ـ أشعر أنني مرتعدة الأعصاب.

ونظرت إلى الساعة وأدركت أنه في خلال أقل من ربع ساعة سيحضر أول الضيوف.

ـ هل قلت ماركيز وكونتيسه؟ لن أعرف كيف سأخاطبهما.

ـ ستستعملين أسماءهم الأولى في وقت قصير. لا تخافي يا لورين، فلن تخذلينا.

ـ طالما لن أخذلك.

ـ احترام الإنسان لنفسه هو أكثر ممتلكاته الشخصية، تذكّري هذا!

أول ضيف وصل كان دون دياغو دو غواردينا، الذي فور وقوع عينيه على لورين أصدر صيحة تعجب خفيفة ونظر إليها لعدة لحظات وكأنما الدهشة منعته من الكلام. ثم انحنى ليقبل يدها وهو يقول:

ـ ولكن... أنت جميلة جداً. رامون لم تحضرني لمفاجأة كهذه.

ـ لم تطلب مني وصف زوجتي يا دياغو.

ـ في الحقيقة أنا مسرور أنني لم أفعل! فما هو أكثر سعادة لأن اكتشف جمال مضيفتي بنفسي؟

بعد استكمال عقد الضيوف، ولم تكن لورين قد ارتكبت أي خطأ في استقبالهم. جلسوا يتناولون العشاء، وكانت تعامل ضيوفها وكأنها تعرفهم منذ أشهر بدلاً من ساعتين أو ثلاثة.

الماركيز دو ڤالغا وزوجته لوليتا، كانا زوجين رائعين يعملان في

www.liilas.com/vb3

السياحة. والكونتيسا الين مانزاريز، أرملة منتج أفلام، كانت مرحة وكثيرة التزيّن، والسيدة الجالسة على يمين رامون، دونا ماريا لوزانو، التي تعمل مع زوجها وابنتها في تسويق نوع من الشراب الإسباني. وزوجها دون جوزيه لوزانو ينحدر من أسرة مشهورة بصنع ذلك الشراب الذي يعتبر انتاجه من أفضل الإنتاج في البلاد.. وابنتها تيريزا وهي في التاسعة عشر تقريباً، كانت جميلة القسمات ورائعة الشخصية، وبدا لرامون بعد وقت قصير أنها ولورين ستصبحان صديقتين.

وكان على يمين لورين الدون دياغو، الذي أجبرت نظراته المنحصرة بمضيفته على جذب انتباه زوجها، وعندما كانت تتكلم مع دون دياغو في حديث مطوّل، نظرت لترى عينا رامون مركزتان عليها. وبدا وكأنه سيظهر بعض التوبيخ، ولكنه أدرك عجزها عن منع العازب الوسيم من التحدث معها، ولكن بعد أن غادر آخر الضيوف كان عليها أن تسمع التوبيخ وكان الوقت بعد منتصف الليل، وحاولت أن تتهرب منه بإعلانها أنها ستذهب إلى الفراش. فقال لها:

ـ هناك شيء أريد قوله أولاً، اجلسي يا لورين. إنه حول دون دياغو...

ـ لا لزوم لأن تقول لي عن هذا، أعرف.

ـ تعرفين؟ إذاً ربما تفسّرين لماذا سمحت له باحتكارك هكذا؟

ـ وكيف أستطيع منعه؟

ـ كان على شمالك شخص آخر، وفي مقابلك أشخاص آخرون. وكضيوف عندك يتوقعون أن تقدّمي لهم بعض الاهتمام.

يبدو لي لورين أنك بحاجة لأن تتعلمي أكثر عن آداب الضيافة.

ـ أشعر يا رامون إنني تصرّفت بشكل لائق جداً هذه الليلة.

ـ بشكل إجمالي، نعم، ولكنك سمحت لنفسك أن تعطي الكثير من الاهتمام لدون دياغو.

ـ لا أعترف بهذا!

ـ لقد قلتِ...

ـ عنيت أنني عرفت طبيعة انتقاداتك.

ـ لن نتفاهم... دعينا ننسى الأمر هذه الليلة.

وصعدا إلى غرفة النوم. وبعد عشرين دقيقة من انتهائها من خلع ملابسها وارتداء ثياب النوم، وهي على وشك دخول الفراش، دخل عليها رامون بمظهره الجذاب حتى أنها التقطت أنفاسها.

ـ كنت تبدين جميلة جداً، هذه الليلة، تعالي إليّ. أنت ترغبين بي وتعرفين ذلك.

ـ أتساءل إذا كنت تدرك تماماً أنك كثير الوثوق بأرائك يا رامون؟

ـ أنا صادق على الأقل، أما أنت فلا، أنت حتى غير صادقة مع نفسك يا لورين.

ـ الوقت متأخر.

وبأربع خطوات سريعة أصبح قربها، وأحاطها بذراعيه.

ـ أنا متعبة يا رامون، أرجوك إذهب! أنت تطلب المستحيل! أنت تملك بعض المخيلة بالتأكيد! وتستطيع أن تلاحظ أنني أفضل...

www.liilas.com/vb3

ـ تفضلين أن تكوني بين ذراعيه بدلاً مني! أليس هذا ما كنت ستقوليه؟

ـ من الطبيعي أن أرغب في أن أكون مع الرجل الذي أحبه بدلاً من الرجل الذي أرغمت على الزواج به.

ـ في ذلك الوقت، كنت سعيدة بالمساعدة التي قدمتها لك، ودخلت في المساومة دون تردد، دون أن تتحدثي....

ـ دعنا من ترديد هذا. نعم أنا من بدأت هذا الحديث، ولكني أرغب الآن في نسيانه.

ونظرت إلى يديّ زوجها، كانتا مقفلتين وممدودتين إلى جانبيه فقالت بلهجة باردة ومتعقلة:

ـ أرجوك، اذهب يا رامون، قلت لك انني تعبة. لقد كانت أمسية متعبة... إنها أول حفلة عشاء لي...

كان واقفا دون حراك، وظهره إلى النافذة، وعيناه ثابتتان على وجهها.

ـ أنا باقٍ يا لورين.

وقطبت وهزّت رأسها، ولكن لم يكن لديها الوقت لتتكلم فقد حملها بحركة سريعة غير متوقعة. وأحسّت بالصدمة من دقات قلبها الصاخبة بينما كانت تتحول الغرفة أمام عيناها إلى ظلام.

٨ ـ في مواجهة الماضي

بقيت ممددة لفترة طويلة وهي يقظة، وصوت الريح وحده يقاطع هدوء تفكيرها. وعبر الستائر كان يبدو طيف ضوء القمر، بحيث انها كانت تستطيع تمييز الأشياء المختلفة في الغرفة دون صعوبة.

الثراء... وعاد عقلها إلى العمل، وكانت تعرف أن النوم سيمتنع عنها. ما هو هذا القدر الغريب الذي أوصلها إلى هذا... لقد ولدت في مكان متواضع نسبياً، وها هي تدخل عالم الثراء؟ ولسبب مجهول انتقاها روجر من بين كل الفتيات في تلك الحفلة، على الرغم من وجود شقيقتها هناك. بعد ذلك لفتت نظر، دون رامون ادوارد دو كابررا أي مولينا، من بين كل النساء الجميلات في نفس حفلة خطوبتها.

هل هناك شيء مميز فيها يجتذب الرجال؟ هذه الإمكانية لا تسعدها. بل تجذب المشاكل لها. ها هي الآن ترى دون دياغو الوسيم يتطلع إليها بإعجاب غير متستر، ولم تعرفه سوى منذ دقائق، لتصبح حذرة من أن تقول شيئاً قد يقوده ليظن أنها تشجعه. وسألت نفسها عما لو كانت شقيقتها حاضرة الليلة، فهل

www.liilas.com
فراشة المحبة

كان دون دياغو، مثله مثل الآخرين، سيختارها بدلاً من فيليس؟ وتمتمت لحافة الغطاء الأبيض القريب من فمها:

ـ كم هذا غريب، فنحن متشابهتان تماماً، فكيف يختار من لا يعرفنا واحدة منا بدل الأخرى؟

وبالتدريج وجدت فكرها قد أصبح مهتزاً بينما أخذ النعاس بالدخول إليه. واستدارت لتنظر إلى الرأس الأسود الذي يرقد على المخدة قربها، و استدار رامون وهو لا يزال يغط في نومه، ونظرت إلى وجهه. هل كان يحلم؟ وبدا حزيناً بطريقة ما غريبة... ولسبب لم تستطع تفسيره، شعرت بغصة في حلقها، وبقوة مفاجئة تحرّكت لتلمس خده الأسمر بشفتيها. ولكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة، لخشيتها من أن توقظه.

في الصباح التالي، وصلتها رسالة، وأخذتها عن الصينية التي قدمتها إحدى الخادمات، جيرونيا، في غرفة نومها. وتطلعت لبرهة في العنوان المطبوع على الآلة الكاتبة، كانت الرسالة تحمل ختم لندن، وفتحتها، وسرّت لأنها موجودة في خلوة غرفتها... لأن الرسالة كانت من روجر رسالة حزن وندم... وتوسل.

إدوين، وقد عذبه تبكيت الضمير، وعلى أمل أن تعود الأمور بطريقة ما إلى نصابها بين روجر ولورين، ذهب إلى روجر واعترف له بكل شيء، في الصفحة الثانية من الرسالة استمر روجر برواية ما حدث:

«بالكاد كنت أصدق ما يقوله لي، لماذا يا حبيبتي لم تأتي إليّ فوراً بعد مقابلتك لأدوين، وكنا معاً سنتدبر الأمر؟ كنت قد تزوجت، وأنا أعرف هذا، ولكن لم يكن لك حاجة للذهاب إلى

اسبانيا، وكان بالإمكان إلغاء الزواج، بعد ذلك لاستطعت أنا وأنت الزواج. اكتب لك لأقول انني ما زلت احبك. وأنا مستعد للانتظار حتى تستطيعي الحصول على الطلاق. ستفعلين هذا بالتأكيد؟ اكتبي لي قريباً، لورين يا حبيبتي، وقولي انك ما زلت تهتمين بي كاهتمامي بك».

مرّ عليها وقت كانت تشك في صدق حبه لها، نسبة لرفضه دفع مبلغ الفدية، ولكنها الآن لم يعد لديها أي شك بهذا الحب، وتنهدت وهي تقول: «لقد فات الوقت، أحبك ولكن فات الوقت».

وأجابت على رسالته وشكرته على عرضه، ولكنها أخبرته أنها لن تتمكن من الطلاق من زوجها، لأن ليس لديها أسباب موجبة لذلك. وكتبت له تقول:

ـ «لقد انتهى كل شيء بيننا، رامون لطيف جداً معي. وأنا مصممة على البقاء زوجة له. اعتنِ بنفسك، وحاول أن تنساني في أسرع وقت».

بعد يومين أعلن رامون عن نيته الذهاب إلى انكلترا، حيث سيتغيب اسبوعاً.

ـ أحب أن آخذك معي يا لورين، ولكن من رأيي أن الوقت مبكر جداً. ستزعجك الذكريات، ليس هذا فقط بل قد تميلين لزيارة اشخاص قد يثيرون إزعاجاً لك.

ـ أحب أن أذهب معك يا رامون. أعدك بأنني لن أسمح لنفسي بأن انزعج.

www.liilas.com/vb3

كانت تريد رؤية والدها وفيليس، على الرغم مما فعلته بها. لقد كانتا مقربتين من بعضهما لفترة طويلة، وأرادت أيضاً أن ترى أثر الغلطة على شقيقتها التي قد تكون الآن نادمة عليها بمرارة. ومع ذلك يجب أن لا تصبحا عدوتين.

- لقد كتب لي والدي كما تعلم وفي كل رسالة كان يقول انه يأمل أن أزوره قريباً.

- لا أرغب في أن أخاطر.

- أنت تدرك أن شيئاً لا يمنعني من الذهاب إلى إنكلترا وحدي، تقريباً عندما تغادر أنت هنا؟

- أطلب منك يا لورين أن لا تفعلي هذا، في الواقع لن أسافر دون أن تعديني.

- وإذا رفضت؟

- إذاً سأبقى هنا، على الرغم من الخسارة التي سأتكبدها.

- وإذا أعطيتك الوعد، أستطيع أن أخل به بسهولة.

- فتاة لها عيناك يا لورين، لا تخل بكلمتها متعمدة.

- خذني معك، ولن أغادرك. ولكن أحب أن نزور أبي، وربما بعض الأصدقاء.

- من المستحيل عليك البقاء معي كل الوقت يا لورين. لذا يجب أن تقنعي نفسك بالبقاء هنا. في الأشهر القادمة ربما نقوم بزيارة لإنكلترا، زيارة لا علاقة بها بالعمل.

وفتحت فمها لتكمل الجدال، ولكنها لاحظت التعبير الصارم في عينيه فتخلت عن المقاومة، وراقبته وهو يخرج ليجلس إلى جانب السائق وردت على يده الملوحة بالوداع وعادت إلى الداخل،

لتتناول فنجاناً من القهوة. لقد مضت خمسة أيام منذ أرسلت ردها إلى روجر، وربما وصله الرد الآن.

ترى كيف سيستلم الرد؟ ولم تستطع تصوّر وجهه وهو يقرأ الرسالة. في الواقع صدمت لاكتشافها ان عليها ان تركّز ذكرياتها كي تستطيع التقاط الانطباع على وجهه. أيهذه السرعة نسيت منظر وجهه؟

كيف ستمضي الوقت خلال الأسبوع القادم؟ وأتتها فكرة الاتصال بتيريزا لوزانو لتدعوها لتتناول الشاي، وسرت الفتاة بالدعوة، ووافقت على الفور، وقالت إن خادمتها سترافقها، وقطبت لورين بادىء الأمر ولكنها تذكرت أن رامون قال لها إن الفتيات الإسبانيات من الأسر العريقة مثل عائلة لوزانو ترافقهن وصيفات عندما يخرجن دون حماية فرد من الأسرة، وعندما وصلتا خرجت الوصيفة إلى الحديقة لتترك الفتاتان تتبادلان الحديث.

- لقد شعرنا جميعاً بأننا خدعنا عندما سمعنا خبر زواج دون رامون. هل من الوقاحة أن أسألك كيف حدث هذا؟

من الطبيعي أن لا تتمكن لورين من الرد فوراً، في الواقع مرت فترة طويلة قبل أن تجد جواباً على سؤال الفتاة. وتساءلت عما ستقوله الفتاة لو عرفت الحقيقة، ثم قالت أخيراً آملة أن لا تشك تيريزا بأنها تكذب:

- لقد التقينا في إحدى الحفلات... و... وقعنا في حب بعضنا فوراً.

- كم هذا رومانسي! كم أحب أن يحدث مثل هذا لي.

www.liilas.com/vb3

ـ ألن يكون زواجك مديراً؟

ـ أوه لا . . والدي تزوجا عن حب وهما مصممان على تركي اختار زوجي بنفسي.

ـ ولكنك لا تخرجين لوحدك أبداً.

ـ هذا لا يزعجني. على كل فنحن نحيا حياة اجتماعية كاملة. ونقوم بالكثير من التسلية والزيارات، في الأسبوع الماضي مثلاً حضرنا حفلة عشاء راقص أقامها مؤسس احد المشاريع السياحية على الشاطىء قرب «مارابيلا» وكان كل من فيها من المشاهير، عدة مركيزات وكونتات مع زوجاتهم، ودوقين وحتى أمير، كان هناك أكثر من ألف مدعو.

ـ وهل تعرفين الجميع؟ لا أستطيع تصوّر حفلة بهذا الحجم.

ـ سوف يحضرون إلى هنا، وسوف تشاهدينهم يا لورين. لأن زوجك مثلهم.

وبعد أن تناولتا الشاي، ودعتها تيريزا قائلة:

ـ لقد تمتعت بزيارتي لك بالكامل. إن منزلك من أجمل المنازل، منزلنا متواضع مقارنة مع منزلكم، ولكنك ستحبينه، كما أعتقد. هل ستزورينني قريباً يا لورين؟

ـ طبعاً سأحب ان أفعل!

ـ سأتحدث مع والدتي وأتصل بك.

ثم غادرت مع رفيقتها إلى منزلها.

دقة رقيقة على باب غرفة النوم كسرت الصمت والتفتت لورين قائلة:

ـ ادخل.

ـ شاي الصباح يا سنيورا.

ـ شكراً لك، جيرونيما.

وراقبت الخادمة وهي تضع الصينية على طاولة قرب السرير، وعندما خرجت، صبّت لورين لنفسها فنجان شاي. وأخذته إلى مقعد قرب النافذة وجلست. ماذا هناك لتعمله؟ وتنهدت، وكالعادة، تجوّلت أفكارها في انكلترا وفي حياتها قبل أن يحدث لها كل هذا، في هذا الوقت من الصباح كانت تستعد للذهاب إلى عملها، حيث تمضي يوماً سعيداً بين أقرانها. بعد ذلك، وبعد وصولها إلى البيت، وبعد تناولها الطعام مع والدها وشقيقتها، تصعد إلى غرفتها لتغسل وتزيّن نفسها لتذهب إلى موعدها مع روجر. كم كانت تلك الأيام جميلة! البيت متماسك، ولا هموم حول المستقبل. فيليس. . . . لماذا فعلت هذا بي؟ وكانت لورين تعلم أنها سامحت شقيقتها، ولم يبقَ سوى ان تقول لها ذلك. وأظن أنني سأكتب لها اليوم لأقول لها أنني مستعدة لنسيان كل شيء. . . النسيان؟» السماح، نعم، ولكن لن تستطيع أبداً النسيان، أبداً، طالما هي مرتبطة برجل لا تحبه.

بعد أن تناولت الشاي، استحمت وارتدت ملابسها ونزلت إلى الحديقة. اليوم جميل جداً، حار وصافي، وبعد لحظات عادت إلى غرفتها لتغير ملابسها بملابس تناسب هذا اليوم المشمس، سروال قصير جداً، ومن الأعلى ثياب مختصرة قدر الإمكان. وأخذت كتاباً، وخرجت إلى الحديقة لتتمدد في الشمس طلباً للمزيد من السمرة التي اكتسبتها بشرتها منذ قدومها إلى إسبانيا. وأتاها صوت

www.liilas.com

جيرونيما المألوف الهادىء فرفعت رأسها لتسمعها تقول «سنيورا... هناك زائر... سنيورا»

- زائر؟ ولكنني لا...؟ حسناً أدخليها إلى الصالون الأحمر.

- إنه رجل سنيورا، ولقد أدخلته إلى الصالون.

- شكراً لك جيرونيما.

رجل... وقطبت حاجباها، وقد علمت أن الزائر ليس سوى ذلك الأعزب الوسيم، دون دياغو. كيف ستتصرف معه؟ ألم يعرف أن زوجها ليس في المنزل؟ بلى، إنه يعرف... وقطعت أفكارها فجأة وصدر عنها شهقة، «روجر!» وتنفست وهي تحدق، غير مصدقة بالطيف القادم نحوها «ولكن كيف... ولماذا؟».

- لورين!

وأسرع بخطو آخر بضع ياردات، وبلحظة، أخذها بالقرب من قلبه.

- لورين... يا حبيبتي! دعيني أنظر إليك...

وتملصت من بين ذراعيه، محررة نفسها وصرخت:

- لا... كيف أتيت إلى هنا؟ ولماذا أتيت؟ لماذا أتيت؟

- كان يجب أن أحضر يا لورين. كان يجب أن أحضر منذ زمن لأن هناك الكثير مما لا أفهمه، وعندما علمت أن زوجك في انكلترا، انتهزت الفرصة...

- عرفت إنه في انكلترا؟ ولكن كيف يا روجر؟

- كان ذلك صدفة. لقد كنت في مطار لندن بعد ظهر أمس لأستقبل صديقة لوالدي آتية من فرنسا، وكان عليّ أن أنتظر نصف ساعة فذهبت إلى المقهى، وجلست لأحتسي الشراب،

وكاد الكأس يقع من يدي عندما رأيت زوجك يمرّ وفي يده حقيبته، كنت سألحق به ولكنني فكّرت، إنه هنا في عمل وقد نزل توه من الطائرة، وهذه فرصتي لأرى لورين. واتصلت بأخي لأعرف كم من الوقت سيبقى في لندن. بول لا يعرف أنك تزوجت دون رامون لم أخبر أحداً، حتى والدتي، لقد قلت للعائلة إننا افترقنا. أريد أن أقول لك...

واختفى صوته، بينما هو ينظر فوق كتفها ليشاهد شخصاً في نافذة الطابق العلوي يحدّق بهما. وابتعد عنها بسرعة وقال:

- أليس هناك مكان ما نكون فيه لوحدنا؟

- لنذهب إلى الداخل، سأضع شيئاً عليّ.

وأدخلته إلى غرفة جلوس صغير، خصصها لها رامون منذ البداية، لتكون مكانها الخاص وملجأ لها إذا شعرت بالحاجة إلى الوحدة الكاملة وصعدت لورين إلى غرفتها وارتدت ثوباً أزرق من القطن ثم نزلت لتنضم إلى خطيبها السابق في غرفة الجلوس.

- لورين... يا حبيبتي... تعالي إليّ...

فدخلت وأقفلت الباب وراءها، وأدارت المفتاح.

- روجر... يا أعزّ الناس... لماذا أتيت؟ ألا ترى أن الأمر سيكون عذاباً لنا نحن الاثنين؟ لقد كنت تتكلم، أرجوك تابع حديثك وتطلعت إلى وجهه، وجهه الحبيب، وفجأة لم تعد آسفة على قدومه فهناك خمسة أيام قبل أن يعود رامون، خمسة أيام قد تكون نعمة لها...

- هل تعودين معي يا لورين.

www.liilas.com/vb3

ـ أنت تعلم أنني لن أتركَ رامون، ليس عندي أساس ثابت كي...

ـ علمت من رسالتك أنك كنت تبكين وأنت تكتبينها، وهذا ليس بحاجة للكلام... وكان هناك بعض الوقائع حول القضية.

ـ علمت أنني كنت أبكي؟ ولكن كيف؟

ـ وقعت دمعة على الرسالة، يا حبي، وعندما جفّت تركت أثراً، وهذا ما جعلني أعرف المزيد، عما في الرسالة نفسها. يجب أن ترجعي معي يا لورين.

ـ هذا مستحيل، رامون لا يؤمن بالطلاق.

ـ يجب عليه أن يغيّر وجهات نظره! لا يمكن لك أن تبقي مرتبطة برجل لا تحبينه.

وتطلعت إليه، وهو يدير رأسه نحوها، وتذكرت مع الألم رفضه لدفع الفدية، لو أنه فعل، كان كل شيء سيبقى على ما يرام.

ـ ليس لديّ أسس لطلب الطلاق يا روجر، قلت لك هذا في رسالتي.

ـ إذا تركتيه، سيدرك فوراً، أن زواجه غير ناضج، وانه من الأفضل له أن يمنحك حريتك من أن يبقى مرتبطاً بامرأة لا تريد العيش معه.

ـ لقد فات الأوان يا روجر.

ـ لنترك هذا الأمر يا لورين. هناك أشياء أخرى تحيّرني وتستطيعين توضيحها، أخبرني أدوين أنك تركتِ المال في المنزل. وقالت فيليس له انك أخذت المال منها، ولكن عندما دخلت غرفة الجلوس بعد أن غادرت المنزل كان المال مرمياً على الأرض. كان

من الواضح أنك عرضت عليه المال. لو أنك عرضت عليه المال يا لورين، لكان ذلك مقابل حريتك؟ وهذا يعطيك الحجة التي تحتاجين إليها. فماذا حدث؟ لي الحق بأن أعرف.

ـ لك الحق؟

ـ لي الحق لأنني أحبك.

ـ تحبني... ولكنني لا أقدر أن أتركه يا روجر..

ـ ولماذا لا؟ فأنت لا تحبينه أنت تحبيني أنا.

ـ كنا قد تزوجنا عندما عرضت عليه إرجاع المال.

ـ من الواضح أنك لو كنت لم تتزوجينه لكنت رميتِ المال له وقلت له أن يذهب إلى الشيطان.

ـ في البداية ارتحت عندما عرض عليّ المال...

ـ هل تعيدين إليّ ذكرى أنني لم أدفع مال الفدية؟

ـ لم يعد الأمر هاماً الآن يا روجر. لقد انتهى الأمر، وكما قال لي رامون اكثر من مرة، التفكير الدائم بالماضي لا يجدي نفعاً.

ـ هل قال هذا؟ إذاً هو يدرك أنك تفكرين بالماضي؟

ـ بالطبع... ألا تفكر بالماضي أنت أيضاً؟

ـ لم أتوقف أبداً عن التفكير، منذ ذلك اليوم الذي أتيتِ به إليّ لتخبريني أنك ستتزوجينه.

واستعادت ذكرى ذلك الشعور الغامر بالذنب، والعار، الذي حل بها بعد تصرفها في المرة الثانية في الحديقة، فقد كانت تعلم أنها لم تكن مخلصة لخطيبها، وعند هذه الذكرى شعرت بالخجل أكثر من قبل، وعلمت أنها ولو تزوجت روجر فإن ذكرى خيانتها

www.liilas-com/vb

له ستعاودها مرة بعد أخرى ولمدة طويلة. وتكلم روجر مرة أخرى ليقنعها بالعودة إلى إنكلترا معه.

- إنها فرصتنا الآن.

- لقد قلت إن هذا مستحيل، لا أستطيع أن احنث بوعدي. رامون لم يتصرف معي بأي شيء خاطىء.

- ألم يكن من الخطأ إلزامك بالمساومة عندما عرضت عليه إرجاع المال؟

- لقد كنا متزوجان.

- متزوجان! ولماذا رغب في الزواج منك؟ لماذا؟

وبدا للورين أن هذا نوع من الاستجواب المتأخر، لقد كانت تتوقعه حتى منذ أن أخبرته أنها ستفسخ الخطوبة وتتزوج الرجل الذي سيقدم مال الفدية لها. ولكنها كانت ستعذر مشاعر روجر في ذلك الوقت. ولكن الآن، لقد ظنّت أنه السؤال الأول الذي يجب أن يطرحه. ولم ترد عليه، لقد كان لديها النية بعدم الإجابة على هذا السؤال. وأخيراً أجاب روجر بنفسه عن السؤال.

- الرغبة! فأنت جميلة كفاية ليشتهيك أي رجل، وخاصة هؤلاء العشّاق الأجانب! فباللحظة التي وقع نظره عليك اشتهاك! وللعجب إنه لم يعرض عليك نوعاً آخر من العلاقة.

وابيضّ لونها حتى الشفتين، وتوسلت إليه أن لا يستمر في الموضوع، وسألته إلى متى سيبقى هنا.

- لقد توقّعت أن أقنعك بأن تعودي معي اليوم... لورين. أرجوك، قولي لي أنك ستأتين معي. فنحن نحبّ بعضنا، حبيبتي، كيف نستطيع أن نعيش دون بعضنا؟

- وماذا يفيد كل هذا يا روجر؟ رامون لن يطلقني أبداً، لذا فلن نقدر على الزواج، إضافة إلى ذلك، ماذا ستقول عائلتك؟ سيعرفون بأنني كنت متزوجة...

- لا، لا أوافق معك!

- بالطبع سيعرفون يا روجر. فاسمي قد تغيّر و...

- تستطيعين تغييره ثانية. ليعود اسم «واربي».

ولكنها هزّت رأسها فالمشاكل تبدو كبيرة. ولكن هل هيَ المشاكل التي تمنعها من ترك رامون والعودة إلى انكلترا مع روجر؟ لن تحاول الإنكار إن زوجها يمتلك سلطة لا ترد تبقيها تحت سحره. وتستحوذ عليها لتخضع لرغباته ومطالبه. ونظرت إلى الرجل بجانبها، وفكرت برامون... وفكرت بقساته الوسيمة، وبالطريقة المميزة التي يمشي بها، وبصوته الهادىء الغني بالعواطف، وبجسمه الطويل الرشيق. وفكرت في حبه لها.

- لا أستطيع العودة معك، أنا آسفة يا روجر! أنا آسفة جداً!

- لورين هل تحبينني؟

- أنت تعلم أنني أحبك! كيف تشك في هذا؟

- كيف أشك في هذا؟ تقولين أنك تحبينني ومع ذلك ترفضين العودة معي. نعم، أظن أنني بدأت أشك بهذا الحب.

- كم ستبقى هنا؟ تستطيع البقاء في الفندق بضعة أيام. سنمضي بعض الوقت معاً قبل أن نودع بعضنا نهائياً.

- يبدو لي الأمر كالجنون. ولكن إغراء أن أبقى معك كبير جداً. هل استطيع الاتصال بالفندق من هنا؟

www.liilas.com/vb

- نعم.... هناك هاتف. أتمنى أن تستطيع حجز غرفة وبعد عدة دقائق، وعند انتهائه من المخابرة قال:

- لم يبقَ لديهم سوى غرفة واحدة منفردة، لقد حجزتها حتى مساء الأربعاء. سأعود صباح الخميس إلى انكلترا.

٩. كل هذا كان وهما

تدريجياً، وبمرور الأيام، أقرت لورين لنفسها أن إقناع روجر بالبقاء لم تكن فكرة جيدة، ففترة الاستمتاع بالألم التي توقعتها، انقلبت لأن تمتلىء بالتوتر من جانبها ومن جانب خطيبها السابق على حد سواء، لقد توقعت أن يكون أكثر التوتر مرده الخطر الناتج عن رؤيتهما لبعض. وكان عليها الذهاب إلى القرية لتلتقي روجر في حديقة هناك، وانطلاقاً من الحديقة كانا يمشيان عبر بوابة صغيرة تقود إلى غابة كثيفة، حيث، وبعيداً عن الطريق والممرات الكثيرة عبر الغابة، يجلسان ويتحدثان، ولكن، غالباً، كانا يجلسان صامتين، وروجر يطيل التأمل بعينين جامدتين إلى نقطة ما عبر الأشجار.

وببطء، ولكن بشكل مؤكد، توصلت لورين لأن تشعر بأنها لم تكن مرة في حياتها ضجرة هكذا.

- لو أننا نستطيع الذهاب لتناول الطعام في مكان ما، في فندق أو مطعم، بدلاً من الجلوس هنا نأكل السندويشات، التي أجلبها معي.

- لم يكن عليّ البقاء هنا....

www.liilas.com
فراشة أحبة

اليوم هو اليوم الثالث لزيارته، وكالعادة، التقيا بعد الساعة العاشرة بقليل، وهما الآن يجلسان فوق جذع شجرة ملقاة على الأرض، يتساءلان معاً كيف سيقضيان بقية ذلك النهار.

ـ فكرتي بقضاء بضعة أيام شاعرية معاً كانت فاشلة، أليس كذلك؟

ـ كان مقدراً لها الفشل.

ـ هل ترغب في الذهاب؟

وأحسّت بمشاعرها تختلط، لأنها لم تكن قادرة على تقرير ما إذا ستشتاق إليه عندما يذهب أم أن ذهابه سيكون مبعث راحة لها. كم من المؤسف أنهما خسرا الكثير. وجالت بأفكارها، وتذكرت تلك الأيام المشرقة من غزلها وخطبتهما. لكانت الحياة قد اتخذت طريقاً جديداً أو مثيراً، ولكان هناك الكثير لتفعله، مثل حضور الحفلات الراقصة، ولقاء أصدقاء روجر، وزيارتهم واللقاء بهم في مناسبة أو أخرى. وكان سيبقى على الدوام حلاوة توقع رؤيته في الأمسيات وفي نهايات الأسبوع التي يمضونها في منزل والديه.

أما هنا فقد حصلت على غرفة نوم زهرية وبيضاء جميلة، ودخلت عالم الخادمات والخدم، وأرض الحدائق والبرك، وملاعب التنس وبرك السباحة، واقعياً، كل حياة الترف الجذابة. لقد كان عالماً جديداً ولامعاً، ولكن هل سيبقى هكذا دوماً؟ وهل أصبحت مأخوذة بكل هذا؟ ناسية أن الحب والعشرة مع زوجها ستكون أكثر رابط حيوي يربطها بالجو الجديد الذي دخلته. ورمقت روجر نظرة جانبية، مقارنة دون وعي منظر وجهه الجانبي

بمنظر وجه زوجها الجانبي. وقطبت حاجبيها للفرق بينهما. وفجأة قال لها روجر:

ـ هل كتبت لك فيليس منذ زواجك؟

ـ لا، ولا أعتقد أنها ستفعل. كنت أنوي أن أكتب لها قريباً.

ـ كنت أتساءل عما حصل بالمال. يجب أن يكون المال لك، هذا حق.

ـ إنه يخص رامون.

ـ وماذا عن تضحيتك؟ ألا تحصلين على شيء مقابلها؟

ـ هل تشير إلى أن المال قد يعوض عليّ الخسارة؟

ـ افترض ذلك، من العجب أن زوجك لم يسألك عن المال، أنا أعرف أنه رماه على الأرض، لقد أخبرني هذا، ولكن فيما بعد، لا بد أنه ندم على التخلي عنه.

وقطبت لورين، وصمتت لحظة، لقد أصابتها الحيرة من تصرف روجر، ومن الاهتمام بالمال.

ـ يبدو أنك نسيت أنه لو أخذ المال مني لكان ذلك مقابل حريتي، فقد اقترحت إلغاء الزواج.

ـ ولكن، أن يترك كل هذا المال هناك.... أنا نفسي كنت سأكون مصمماً على استرجاع مالي، بالتأكيد.

ولم يكن لدى لورين رغبة في التحدث معه، وبقيت صامتة لبعض الوقت، ولكنه تابع كلامه حول المال حتى بدا لها ان الأمر اصبح هاجساً يستحوذ عليه. عندها تكلمت، بسرعة وكأنما الكلمات تخرج منها دون إرادتها.

ـ هل استعادة المال له هذه الأهمية الكبرى لديك؟

www.liilas.com/vb3

وهزّ روجر رأسه بالإيجاب فوراً، وعلمت أنه قد فشل في إدراك مضامين سؤالها.

ـ من المؤكد جداً أن الأمر سيكون له الأهمية الكبرى عندي!

كلماته زادت الشق اتساعاً بينهما، فالشكوك قد جعلت صوتها أعلى، الشكوك حول ما إذا كان الزواج بروجر سيكون ناجحاً. وتذكّرت بوضوح تلك الفكرة التي راودتها مرة بأنها لا تتناسب مع البيئة التي يعيش فيها روجر وعائلته. ولكنها أبداً لم تشعر ولا للحظة واحدة أنها غير ملائمة هنا، في منزل زوجها المليونير. وتمتمت وهي لا تشعر أنها تتكلم بصوت مرتفع:

ـ كم هذا غريب، كم هو غريب بالفعل!..

ـ غريب؟ أتعتبرين أن من الغرابة أن أرغب في استعادة مالي؟

ـ لم أكن أشير إلى هذا.

ولم يتابع هذه المسألة، وتبع ذلك صمت مطبق. كان يقطب بعبوس وكانت هي تفكر: لم أكن أعرف شيئاً عن هذا الجانب من شخصيته، في الحقيقة لا أعلم سوى القليل عنه. وقال لها أخيراً:

ـ يبدو أن فيليس قد استولت عليه.

ـ لا أستطيع منع نفسي من الشعور بأنك مهتم بشكل غير مناسب بمال ليس لك فيه شأن.

ـ أعتقد أن الأمر لا يخصني. كما قلت!

وجلست وهي تنظر أمامها، وهي تتمنى لو أنها تغادر هذا المكان، ولكن بينما كانت تحاول إقناع نفسها لتقترح هذا، بدأ بالكلام ثانية، وعندما استدارت لتنظر إليه رأت أن حاجباه قد

انعقدت فجأة بينما هو مستغرق في التركيز. وتمتم أشياء حول الاختطاف، وعندما تابع كلامه أصبحت متأكدة أن هناك إشارة خفيفة من الحقد الدفين في لهجته:

ـ كان يعلم شيئاً! هو ليس بغبيّ!

ـ عما تتحدث؟

سألته، وهي تعلم جيداً أنه يشير إلى زوجها، وسألها:

ـ أخبريني بالضبط ماذا حصل عندما قدم لك المال؟ هل كان مشغول البال حول الاختطاف، أم أنه كان هادئاً؟

ـ لم يكن مفرطاً في قلقه، ولكن لماذا يكون قلقاً؟ فالأمر لا يعنيه بتاتاً، ليس كما كان يعنيك!

ـ عندما أعطاك المال، ماذا...؟

ـ في الواقع لم يعطني المال، لقد ذهبنا سوية إلى الغابة ووضعنا الرزمة في المكان المحدد.

ـ وأنت، ماذا فعلت بعد ذلك.

ـ لا أذكر أنني فعلت شيئاً خاصاً. أتذكّر أنني كنت قلقة من أن يأخذوا المال ولا يطلقوا سراح فيليس.

ـ وماذا كان رد فعل الدون على هذا؟

ـ كان واثقاً أنهم سيطلقون سراحها؟

ـ هل كانت هذه كلماته بالضبط؟

ـ أظن أنه قال إنني يجب أن لا أخاف، فشقيقتي سترجع إلى البيت حتماً.

ـ ترجع إلى البيت... ترجع إلى البيت، لا أن يطلق سراحها.

www.liilas.com/vb3

وبدا وكأنه انتصر وكأنما قد عثر على شيء قدم له ما يرضيه. وتابع:

- ألم يعطِ أي إشارة إلى أنه خمّن الحقيقة حول الاختطاف؟

- خمّن الحقيقة؟ لا أعرف عما تتحدث، كيف كان له أن يخمّن؟

وتوقف برهة، متردداً وكأنما هو على وشك أن يدلي بتصريح هام، ولكنه بدلاً عن ذلك سألها:

- هل طلب دون رامون منك الزواج قبل الطلب منك في الوقت الذي عرض عليك فيه أن يدفع الفدية؟

- أجل... في الواقع، فعل ذلك. لقد عرض عليّ الزواج في حفلة خطوبتنا...

- في حفلة خطوبتنا! أنت فاسقة يا لورين، لم تذكري لي ذلك أبداً. هذا خداع لا يصدق!

ووقفت لورين، متوترة وشاحبة، تتصارع مع نفسها، لأنها لم تستطع تحمّل هذا الخلاف الذي حصل بينهما بسبب استجوابه الملح.

- طلبه الزواج مني لم يكن مهماً ذلك الوقت. ولم أجد من الفطنة أن أزعجك به.

- لقد كنت سأصبح زوجك. ولم تجدي ضرورة لإزعاجي بمعلومات عن رجلٍ أجنبي، طلب الزواج منك! يا إلهي! لورين، لقد بدأت أعتقد أنني كنت سألاقي المتاعب في زواجي بفتاة لها هذا النوع في فلسفتك!

ولم تجد الكلمات التي تستطيع بها الرد، واستدارت، وهي

تشعر بالنسمات الناعمة تمر من خلال الأشجار، وتغريد العصافير في ضوء الشمس. كم هذا المكان هادىء... ولكنها كانت مضطربة القلب. وتابع يقول:

- أنت تعترفين أنك كنت في الحديقة معه، ولن أسامحك على هذا، لقد تبعتك إلى هنا كالأبله.

وتوقف، ثم سألها عما حدث عندما كانت مع الدون في الحديقة. لقد تراجع الآن عن استجوابها حول تصرف دون رامون يوم كان يدفع لها مال الفدية، وبدأ يتساءل، وقد عرف أنهما لن يعودا إلى بعضهما ثانية، عما إذا كان بحاجة إلى برهان بأن خطيبته السابقة لم تكن «مناسبة»، وفي تلك الحالة يستطيع أن يعتبر أن خسارته لها كانت راحة له بدل أن تكون ندماً مريراً كان يشعر به حتى الآن. وهنا أيضاً اكتشفت ناحية أخرى فيه، ناحية لم تحبها بالمرة.

- لم يعد ما حدث في الحديقة مهماً.

- بل أقول إنه مهم!

- لن أسمح لك باستجوابي بعد الآن! لقد قلت إن الأمر لم يعد مهماً، وأنا أعني ما أقول!

- إن تكتمك يدينك، لا تظني للحظة واحدة أنني نسيت احمرار وجهك عندما سألتك قبل الآن...

- في ذلك الوقت، رفضت أن تعطيني المال.

- لقد اكتشفت احمرارك يومها، وصمتك الآن يكشفك. سأتركك يا لورين. لقد اقتنعت الآن أنني كنت محظوظاً لخلاصي منك، لأنك غير جديرة بالثقة، ولن تبقي مخلصة لزوجك، ولأنك

www.liilas.com/vb3

استطعت أن تشوهي سمعتك بتلك الطريقة مع رجل غريب، فأنا لا أظن أنك ستبقين مخلصة...

- أشوّه سمعتي! أوه... كيف تجرؤ على استخدام مثل هذه الكلمة عندما تتكلم عني! لم أكن أبداً غير مخلصة لك.

- لقد سلّمت نفسك له، وسأعتقد دائماً أنك سمحت له بـ.....

- لم يفعل شيئاً كهذا! ليس بالطريقة التي تلمّح إليها.

- لا؟ إذاً بأية طريقة؟

- من المفترض أنك ستغادر يا روجر، لذلك أظنك توافق معي على أن أي حوار آخر بيننا سيكون غير ضروري ولا مرغوب فيه.

- إذاً، لقد انتهى الأمر بيننا؟ هل نودع بعضنا الآن، أم نعود معاً إلى القرية؟

وتطلعت لورين إلى الغابة الموحشة الصامتة وقالت إنها تفضل أن تعود إلى القرية معه. وعندما وصلا إلى تلك البوابة الصغيرة، توقفا وحدّقا ببعضهما، وكل منهما يتذكر الساعات السعيدة التي قضياها معاً.

وودّعها وهو ينظر إلى عينيها، ولدهشتها وجدت أن غضبه لا يزال مرتفعاً، ورأت أيضاً أنه يشعر بالإذلال بسبب شكّه المرتكز جيّداً على ما كان حدث بينها وبين دون رامون ليلة الحفلة.

- شيء واحد آخر يا لورين، زوجك خمّن منذ البداية ان الاختطاف كان زائفاً!

- خمّن؟ وكيف توصّلت إلى هذا الاستنتاج؟

- إذاً أنت تعلمين أنني أقول الحقيقة. أجل يا لورين. لقد

خرجت تلك الأسئلة لأنني لاحظت أن زوجك كان يملك ذكاء أكثر من المعتاد، قد عرف أن الاختطاف كان مزيفاً. ولتفكر بالأمر، كلنا كان لدينا شكوك، ألا توافقين على ذلك؟

وهزّت رأسها مشوّشة، وغير قادرة على التفكير بوضوح. ولكنها آخر الأمر وجدت نفسها تقول:

- نعم أوافق معك يا روجر... أوافق معك....

في طريقها إلى المنزل جالت الأمر في ذهنها، مستعيدة ذكرى العديد من الدلائل حتى أنها أصبحت مندهشة لأنها لم تشك في أن رامون كان يعرف الحقيقة. وفكّرت بكل ما قاله لها حول فيليس - وكيف حذّرها منذ البداية، ان فيليس تحسدها لأنها خطيبة روجر. حتى أنه توصل ليقول لها أن تحذر، وشعرت بالغضب عندما خطر لها أن فيليس كانت تغار منها. لم يكن الأمر ممكناً بل منطقياً أيضاً عندما وصلت أنباء الاختطاف إلى أذنيه، أن يقتنع فوراً أن الفكرة من صنع فيليس..وحتى بمعرفته هذه وضع المسدس في رأس لورين.

- المخادع! الغشاش القاسي القلب!

كانت لا تزال تفكر بهذا الخداع، عندما سمعت صوت سيارة تقترب، ونظرت من النافذة لترى زوجها يصل ويصعد الدرجات اثنين اثنين في وقت واحد. كان مستعجلاً للوصول إليها، كما ظنّت، حسناً إنه لا يعلم ماذا ينتظره!

- قولي للسنيورا أن تأتي إليّ في غرفة مكتبي!

وصلت إليها كلماته على الرغم من المسافة بينهما. وخرجت من

www.liilas.com/vb3

غرفتها لتنظر من فوق حاجز السلم الى الردهة. ونظر رامون إلى فوق كذلك فعلت الخادمة. وقال لها آمراً:

ـ انزلي إلى هنا. أريد أن أتحدث معك!

وبالطريقة الوقحة التي أمرها بها أن تنزل، شعرت بذقنها ترتفع وأجابته بثبات.

ـ إذا كنت ترغب في الكلام معي يا رامون، اصعد إلى هنا. أرجوك!

وحاول أن يتكلم، ولكنه توقف، ثم تحرّك، وبعد ثلاثين ثانية سمعت خطواته السريعة الخفيفة تتقدم في الممر. وعندما دخل إلى غرفتها، وأغلق الباب وراءه، وقف دون حراك، وعيناه السوداوين تحدقان في وجهها.

ـ لقد أمرتك أن تنزلي إلى غرفة مكتبي. ماذا تعنين باتخاذك مثل هذا التصرف المتكبر والمتحدي معي؟

ونظرت إليه بهدوء وقالت:

ـ أنا لا أنوي تلقّي الأوامر منك يا رامون.

ـ أنت تلعبين بالنار، سنيورا.

ـ هل هناك شيء؟ يبدو أن مزاجك غير مقبول بالمرة؟

وتقدم منها خطوة، وكانت تعبيراته عنيفة بحيث أنها جفلت كما تجفعل من نمر على وشك الوثوب. وقال لها بصوت رقيق:

ـ أعتقد، أنك كنت تسلّين نفسك أثناء غيابي. . . . أم أقول أنك قد تلقيت التسلية؟ لقد كان صديقك روجر هنا.

ـ وكيف عرفت؟

ـ كيف عرفت؟ همسات القرية لم تصل إليك على ما أظن؟

ـ أنا آسفة إذا كانوا قد شاهدونا. لقد كنا حذرين. وأؤكد لك. . .

وتوقفت، وصرخت من الألم عندما تقدم زوجها دون إنذار عبر الغرفة ليمسك بكتفيها، ويهزّها دون رحمة، وقبضته الوحشية ترضرض عظامها بينما أصابعه تحفر في لحمها.

ـ كنتما حذرين! وتجرئين أن تقفي هنا وتقولي هذا! هل أرسلت تطلبينه فور مغادرتي. . .

ـ ليس هذا صحيحاً يا رامون.

صرخت وهي تتلوى في محاولة لتخليص نفسها، ولكن محاولتها ذهبت أدراج الرياح، ونجحت فقط في أن تؤذي نفسها أكثر. وتدفقت الدموع الحارة على وجهها، ولكن زوجها اعمى نفسه عن دموعها، فهزها ثانية.

ـ لقد حضر إلى هنا خلال أربع وعشرين ساعة من هبوطي في لندن. إذاً لم تضيّعي أي وقت لإخباره! ماذا كنتما تفعلان؟ أجيبي أو سأفعل بك شيئاً يعطيك أكثر من الأنين في شفتيك!

وقالت بعد أن تركها واستطاعت أن تجفف الدموع من عينيها:

ـ يبدو أنك نسيت يا رامون، أنني طلبت منك أن تأخذني معك. لو كنت أخطط لأن آتي بروجر إلى هنا في غيابك، لما طلبت أن أذهب معك، أليس كذلك؟

ـ أردت أن تأتي معي لتريه!

ـ تتكلم الآن بغير المعقول بالمرة.

www.liilas.com/vb3

ـ ماذا كان يفعل هنا؟ هل تحاولين أن تقولي إنه حضر إلى هنا بقرار من نفسه؟

ـ لقد أتى بقرار من نفسه، أجل.

ـ لا أصدقك!

ـ إذا أردت أن تعرف. لقد أتى ليطلب مني العودة معه إلى انكلترا.

ـ أظن أنه من الأفضل أن تبدأي من البداية. ومن الأفضل أن تقولي الحقيقة لأنني لست في حالة تسمح لي بالاستماع إلى أي ادعاء قد تلجأين إليه!

بعد تردد قصير قررت لورين أن تفسيراً كاملاً سيكون الأفضل، وأخبرت رامون كل ما حدث، حتى إقرارها باستلام رسالة من روجر والرد عليها.

ـ إذاً جعلتيه ينصرف؟ لم يكن لديك الرغبة في العودة إلى انكلترا معه؟

ـ ليس لديّ أسس لأطلب الطلاق، كما قلت لك.

ـ إن لخطيبك السابق شخصية معقدة. لقد رفض دفع مال الفدية، وكان يعلم كم كنت قلقة على سلامة شقيقتك، ومع ذلك يزعج نفسه ليأتي إلى هنا ليحاول إقناعك بالرجوع معه. من الصعب جداً تفهّم رجل مثله.

كان هناك سؤال في معنى كلامه، ولكن لورين تجاهلته. فمن الواضح أن روجر كان يحبها عندما وصل إلى هنا، ولكنه بالتأكيد لم يعد يحبها عندما غادر، ولا هي كانت تحبه. من غير المعقول أن تستطيع قول هذا لنفسها باقتناع بينما منذ خمسة أيام كانت واثقة

جداً أنها لا تزال تحبه. وبعد برهة تكلم رامون ثانية:

ـ هل تتذكرين أنني قلت لك انك لا تحبينه؟

ـ أجل... أتذكر.

ـ لم تصدقيني يومها، ولكنك تصدقين الآن، أليس كذلك؟

ـ ما يدفعك لأن تقول لي «أعرف أنني لا أحبه»؟

ـ كنت ذهبت معه لو انك تحبينه.

ـ ليس بالضرورة.

ـ لا؟

ـ عندما كتب لي طلب مني أن أنفصل عنك وأعود إلى انكلترا.

ـ كنت تظنين أنك تحبينه يومها. ومع ذلك رفضت العودة معه.

ـ كنت أحبه يومها.

ـ أنت لا تعرفين نفسك جيداً يا لورين. فأنت لم تحبيه أبداً. على كل لن نعود لبحث الأمر مجدداً. لقد انتهى كل شيء، وربما ستستقرين الآن وتتمتعين بحياتك هنا.

ـ ماذا كنت ستفعل لو رجعت ووجدتني قد ذهبت؟

ـ كنت أخذت الطائرة التالية عائداً إلى انكلترا وأرجعتك معي. فمكانك هو مع زوجك.

ـ كنت لن تستطيع إجباري على العودة معك.

وتقدم بالقرب منها، وهذه المرة عندما أمسكها كانت يداه رقيقتان دون حدود. وتمتم وشفتاه قرب أذنيها:

ـ هل نسيتي يا عزيزتي، الانجذاب الذي يمتلكني لك، اسألي نفسك لماذا لم تكن لديك الرغبة في تركي؟

www.liilas.com/vb3

وأمسك بها على بعد ذراعيه ونظر إلى عينيها الجميلتين العينان اللتان ما زالتا مبتلتان بالدموع وتابع:

ـ اسألي نفسك يا زوجتي الجميلة وكوني صادقة في الجواب، مع نفسك أو معي.

وابتلعت ريقها، وابتعدت عنه، كانت تشعر الحرارة والإحراج، لأنها استسلمت كالعادة إلى ذراعيه. كانت تعرف في قرارة نفسها انه على حق. فهل يبقى الانجذاب الجسدي هو الوحيد بينهما؟ وهل هو كاف ليستمرا في الحياة معاً للعديد من السنين القادمة؟ وأحسّت بشيء يصرخ في أعماق قلبها، تريد أن تحصل من رامون على أكثر مما يعطيه لها. إنها تريد الحب...

ـ أنت واثق كثيراً من نفسك يا رامون. أنت واثق أنك تستطيع إجباري برغباتك بالقوة، ولكنك على خطأ. من الآن وصاعداً لن يكون هناك شيء بيننا...

ـ لا شيء؟ ماذا تقولين؟

ـ لقد خدعتني يا رامون، لقد كنت تعرف منذ البداية ان شقيقتي هي التي دبّرت مسألة الاختطاف، ولأنني عرفت هذا، أقول لك ليس لديك حق عندي بالمرة. فأنا لست راغبة في أن أكون زوجتك!

ـ كيف علمت أنني كنت أعرف عن خدعة شقيقتك؟

ـ أنت لا تنكر إذاً؟

هل كانت راغبة في أن ينكر؟ هل خاب أملها لأن تكتشف أنه فعلاً خدعها؟ اعترفت لنفسها أنها فعلاً كانت تريد منه الإنكار

وستكون مستعدة لتصديقه. ماذا يعني هذا؟ وجالت في ذهنها تبحث عن جواب ولكنها لم تجد.

ـ لا، أنا لا أنكر، في الحقيقة لا أستطيع....

ـ لا يبدو الأمر وكأنه يزعجك، بأنك تعمدت خداعي؟

ـ لقد قلت لك مرة انني عادة احصل على ما أريد. وأنا أردتك منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناي عليك...

ـ وهكذا قررت أن تذهب إلى أبعد حد لتحصل عليّ!

ـ القدر كان يلعب لصالحي. القدر كان على شكل شقيقتك، لقد حذّرتك منها.

ـ كان من الخساسة أن تخدعني هكذا. كنت تعلم جيداً كم كان اختفاء شقيقتي يؤثر بي، وكنت تعرف أنني كنت سأجن، وأنا أتخيل الأشياء الأكثر فظاعة التي قد تحدث لها. ولكي تحقق رغباتك خدعتني.

ووقف رامون ينظر إلى وجهها لفترة طويلة قبل أن يتكلم.

ـ يوماً ما يالورين، ستشكريني على ما فعلت. فأنا أعرف أفضل منك ما هو صالحك....

ـ أرفض أن أقبل هذا، وكما قلت لتوّي، أنا لا أرغب في أن أكون زوجتك بعد الآن. سأبقى معك، على الأقل لفترة ما، ولكن علاقتنا من الآن وصاعداً ستظل شكلية.

ـ هل ستكون كذلك... هل أنت واثقة يا عزيزتي؟

ـ أنا واثقة جداً!

وقبل أن تنهي آخر كلمة كانت ذراعاه قد غمرتاها، وعندما أدارت وجهها عنه قبض على ذقنها بقساوة، ولكنها استمرت في

www.liilas.com/vb3

محاولة تجنّب النظر إليه. ثم تلاشت مقاومتها واستكانت إليه، وقلبها يخفق بسرعة افزعتها.

ـ إذاً أنت واثقة تماماً، صحيح؟

وأزاح قبضته عنها وتطلع إليها بتعبير ساخر كمن يتسلى وحملها عبر الغرفة نحو السرير وهو يقول:

ـ اتعلمين يا عزيزتي، كان يجب عليك أن تعرفي منذ وقت طويل من هو السيد في هذا المنزل.

ـ قلت سيأتي يوم أحبك فيه يعني وقت ما.

ـ حسناً؟

ـ اعلم الآن أنني أحببتك منذ البداية يا رامون، لقد كنت واقعة تحت وهم أنني أرغب بك جسدياً فقط، وكان العار يغمرني. وكما كان الأمر معك حباً وليس رغبة، كذلك كان معي. لقد كان حباً من النظرة الأولى، وكما قلت أنت، كان مقدراً لنا أن نلتقي.

كان قريباً منها، فأخذها بين ذراعيه برفق، وأراحت رأسها على صدره، وسمعت دقات قلبه تدق بسرعة كبيرة. وقالت وهي مرتاحة إلى المكان الذي التصقت به.

ـ حبيبي رامون... احبك... احبك إلى الأبد.

ـ وهل سامحتني لـ.... لخداعي لك؟

ـ أشكرك على هذا الخداع!

ولأنه سمع الجواب الذي يرغب به غمرها بذراعيه في عناق دام فترة طويلة طويلة.

١٠. احذري يا لورين!

وقفت لورين مع زوجها أمام ممرات «الفيانكا» تراقب العمال، يفرغون معداتهم، تحضيراً للبدء بالعمل الذي كان رامون قد تحدث مع زوجته عنه في السابق. وسألها عن رأيها فأجابته:

ـ إن الأمر رائع، أنا سعيدة أنك قررت البدء بالعمل فوراً.

ـ إنه من أجلك يا لورين. لهذا قررت أن أبدأ التحسينات في الحال. أردت أن تحصلي على شيء خاص بك، وباقي التطويرات ستكون لنا بالطبع، ولكن، كما قلت، «الفيانكا» ستكون لك وحدك.

وتنهدت، ونظرت إلى وجهه اللاتيني الأسمر. خطوطه لا زالت صارمة، وعيناه حادتان وتشعّان بالذكاء.

ـ لماذا تفعل هذا؟

أرادت أن تعرف، وعيناها تتحركان باستمرار لتستوعب المنظر من حولها. التلال منخفضة وخضراء، توفر الحماية للخط الساحلي. والأسس الخشبية «للفيانكا»، والبحر الهادئ، اللألاء تحت الشمس الساطعة.

www.liilas.com

وكان بإمكانها أن ترى يختين جميلين على مقربة من الشاطئ، قريبين من قاربي صيد يتمايلان فوق الأمواج الهادئة.

ـ لأنني أريدك أن تمتلكي شيئاً خاصاً بك ـ أريد أن يصبح لديك اهتمام بهذا المكان.

ـ هنا؟

ـ بإسبانيا.

ـ حتى لا أتركك؟

ـ لا حاجة بي لألجأ إلى هذا كي احتفظ بك.

ولم تقل شيئاً، معترفة أن سلطته عليها كانت كبيرة بحيث أنها لا تقدر على تركه بقرار منها. وبما أنه لن يتخلى عنها، ستبقى إذاً معه لما تبقى من حياتها. وكانت تعلم أنها ستكون قانعة لو أنه فقط يحبها. لقد مرّ أسبوع منذ أن قالت له انها من الآن وصاعداً لن تكون زوجة مناسبة له، ولكنه علّمها بسطوته المسيطرة عكس ذلك. ومنذ ذلك الوقت لم تحاول أن تقاوم قوته المتفوقة. لقد قبلت بقدرها وهي الآن، بعد أسبوع فقط، تميل إلى القبول التام بقدرها. وعاد اهتمامها إلى «الفيانكاه»، وعيناها تنظران برضى إلى حجارة واجهته المزخرفة بروعة بأحجار الفيروز من أعلى، وبالأعمدة النصف دائرية التي تقود إلى شرفة تغطيها الكرمة بظلها وشعرت بالرعدة لمجرد التفكير بأن هذا كله لها.

ـ هل ندخل؟

وهزّت لورين رأسها موافقة، وأخذ رامون يدها ودخلا. الردهة عند المدخل يزين درجها الخشبي صفائح الفضة وهي تقود إلى

شرفة تطل على البحر. وجعلت التفاصيل المثيرة الأخرى لورين تشهق بالإعجاب.

ـ لا أعرف ما أقوله لك يا رامون، هذا كرم زائد منك...

واختفى صوتها فجأة عندما وصلت إلى النافذة، وتطلّعت إلى الخارج لتشاهد غابة من أشجار الزيتون الخضراء، وفيها عمال يتجولون.

ـ هل هذه أيضاً ملك لك؟

ـ أجل..

أجابها زوجها باختصار وأخذها من ذراعها ثانية، وقادها من غرفة إلى أخرى، شارحاً لها ما ينوي أن يفعله، وقال لها وهو يشعر بالفخر.

ـ سيكون من أكثر الفنادق فخامة على هذا الساحل، وسيكون ملك زوجتي.

والتفت إليها وابتسم. والتقطت أنفاسها، وهي تفكر كالعادة، كم هو وسيم. «متفوق» هي الكلمة الوحيدة التي من الممكن أن تصف مظهره وجسده الرائع، وعادا بعد فترة إلى الهواء الطلق. شعر لورين تطاير في النسيم البارد الذي يهب حتى في حرارة الصيف، فحجب وجهها ملتفاً على كتفيها.

وتوقف رامون، والتقط شعرها بملء يديه، ومرر أصابعه خلاله وكأنه يمشطه وبسطه إلى الخلف، ولكنه استمر بإمساكه بين يديه السمراوين القويتين. كانت قريبة منه ونظرت إلى وجهه الخالي من الابتسام، ولاحظت تعبيراً خفيفاً من التفكير في عينيه.

www.liilas.com/vb3

وتحرّكت شفتاه وكأنه كان ينوي قول شيء ما، ولكنه غيّر رأيه فوراً، ومد يده إلى يدها وقادها نحو حديقة مسورة كان ينمو فيها العشب بكثافة، وتطلعت من حولها ثم قالت باندفاع:

ـ من الرائع أن نراها وقد تطورت يا رامون. شكراً لك كثيراً لأنك ستعطيني إياها.

ولم يقل شيئاً ولكن عندما ابتعدا عن عيون العمال الفضولية أخذها بين ذراعيه، وسارا نحو السيارة، وعندما أصبحا داخلها سألها رامون عما إذا كانت ترغب في رحلة بالسيارة. ووافقت فوراً، متذكرة تلك الرحلة معه عندما أخذها إلى «غرناطة». هناك الكثير لتشاهده في إسبانيا، ووجدت نفسها تأمل أن يجد رامون الوقت الكافي ليجول بها في البلاد. في الوقت الحاضر وقد انشغل بتطوير الشاطىء والمنطقة المحيطة به، لم يقدر على توفير الوقت لها خلال الأسبوع الماضي. ولكن كما كان يقول الآن في السيارة فإنها هي نفسها ستنجرّ إلى هذه المغامرة الجديدة، إذا شاءت ذلك، كما يبدو أنه سيأخذ نصائحها بعين الاعتبار.

ـ في محيطنا، النساء غالباً يساعدن أزواجهن في المشاريع المختلفة. إنها نوع من الشراكة.

ـ ألا تمانع بالشراكة؟

ـ يبدو أنك غير مدركة لواقع أنني أحب كثيراً مشاركتك.

ـ أنا مندهشة. لقد صدمتني دائماً كرجل لا يحب أن يتدخل أحد بنواياه وأفكاره.

ـ التدخل الزائد عن اللزوم لا استطيع التسامح به. ولكن

العمل المنفرد ليس فيه سعادة دائماً، ولا مرغوب فيه أيضاً. وكما تقولون في انكلترا «تفكيرين، أفضل من تفكير واحد».

ـ أحب كثيراً أن يكون لي يد في هذا المشروع الجديد. كان أبي يقول أن لدي بعض الأفكار الجيدة حول الديكور الداخلي، ولكن طبعاً نسبة لأموالنا المحدودة، لم استطع تنفيذ هذه الأفكار.

ـ حسناً لن يمنعك هنا شيء من هذا القبيل. ضمن المعقول سيكون لك اليد المطلقة يا لورين، وعندما أقول ضمن المعقول، أعني بالنسبة للمصاريف، يمكنك أن تصرفي ما أعتبره أنا نفسي كمية مناسبة من المال للعمل الخاص الذي بين يديك.

ـ يبدو هذا رائعاً هل أستطيع أن أبدأ فوراً بالتخطيط للديكور للغرف المختلفة؟

ـ طبعاً. فأنا مهتم جداً لأرى الأفكار التي ستتوصلين إليها.

وبدأت العمل ذلك المساء، بعد أن فرغت هي ورامون من تناول العشاء. وكان رامون يراجع بعض الأوراق المهمة من حقيبته التي كان يحملها أثناء زيارته إلى لندن. ووضعت لورين أوراق رسم على الطاولة أمامها وانشغلت بالرسم. وكان رامون قد زودها بالمقاييس التي كانت مخططة للغرف. وتابعت الرسم بصمت، ورأسها منحني فوق الطاولة ولم تنتبه إلى نظرات الإعجاب التي رمقها بها زوجها. لقد كانت مهمة بهيجة لها، تتطلب الكثير من خيالها وبراعتها، وقدرتها على توليف الألوان ورؤيتها البعيدة النظر للنتائج النهائية.

ـ انه أمر مثير.

www.liilas.com/vb3

صاحت، وهي لا تقصد أن تتكلم بصوت أكثر من الهمس، ولكن زوجها سمعها ونظر إليها ليلاقي عيناها المتشوقتين اللامعتين.

- رامون، سأقضي عمري وأنا أشتغل بهذا!

- كالعادة دائماً يا عزيزتي، أنت تثيرين إعجابي.

- لا أفهم تماماً ما تقصد؟

- عندما رأيتك أول مرة عبر تلك الغرفة، عرفت أنك فتاة تمتلك جمالاً داخلياً إضافة إلى المظهر الجميل الذي تظهرينه للعالم. ولم أكن مخطئاً. لا يا عزيزتي لورين، لم أكن مخطئاً بالاستنتاج الذي رسمته عنك.

وفتح ورقة على الطاولة ونظر إليها برهة وقال:

- هذا تخطيط، لمعصرة عنب اشتريتها منذ سنوات. كانت مهجورة حتى أصبحت غير قابلة للإنتاج. لقد ظن أصدقائي أنني مجنون لمجرد التفكير بشرائها، حتى المبلغ الصغير نسبياً المطلوب لها. ولكنني رأيت فوراً أن هناك توقعات لها. والآن، صناعة العنب زادت أهمية عن كل توقعاتي.

وبقيت عيناها مسمرتين على الورقة، لقد أصبحت تتعرف على زوجها بسرعة أكثر الآن، بعد البداية البطيئة التي تسبب بها أساساً برودها وتصرفها، وأعجبت كثيراً بفطنته العملية، كانت تعرف أنه يتعامل بصدق وتعرف أيضاً انه يتوقع نفس الصدق ممن يتعامل معهم.

- أخبرني عن «الشيري» ذلك الشراب الإسباني. يجب أن أعرف شيئاً عنه بعد أن عرفت انك تنتج الكثير منه.

- جهودي الصغيرة ليست شيئاً بالنسبة للاهتمامات الحقيقية الكبيرة بهذه الصناعة. الحراثة هذه الأيام تتم بالآلات، والعنب يزرع في صفوف وتبعد ستة أقدام عن بعضها.

وتابع يشرح لها ان الفدان الواحد فيه من العنب ما يكفي لصنع خمسماية «غالون» من الشراب، وان نوعية التربة لها تأثير على نوعية الشراب.

- هذا أمر يثير الإعجاب. سمعت عن القطاف، وكيف يحتفل الناس به بالغناء والرقص، وأنا متشوقة لأن أرى كل هذا.

- يتم ذلك في أيلول، أي بعد بضعة أشهر من الآن يا لورين.

وقطبت لورين جبينها متحيّرة لغرابة نبراته. فهل هو، على الرغم من مظاهر الثقة التي يبديها، لا يزال قلقاً بعض الشيء من أنها قد تقرّر أن تتركه؟ هل فكرة إعطائها بعض الاهتمام خارج البيت، طعم لإغرائها بالبقاء معه؟ ونظرت إلى وجهه الأسمر وحاولت أن تقرأ أفكاره، ولكنها تخلّت عن ذلك فوراً، لقد حاولت من قبل قراءة ذلك القناع، ولكن دون نجاح. وبدأ يتكلم ثانية عائداً إلى الموضوع الذي قاطعه بنفسه عندما تكلم عن «معصرة العنب».

- كما كنت أقول يا لورين، أنا لا أخطىء أبداً بالحسابات التي أكونها، ومعك خاصة كنت مصيباً مائة بالمائة. لقد ذكرت أن أول انطباع عن طبيعتك كان أنك تمتلكين ذلك الجمال الداخلي والطيبة. عندما أخبرتني أنك صددت روجر عرفت أنني دائماً على حق، لم تخذليني يا لورين... واعلم أنك لن تفعلي أبداً.

www.liilas.com/vb3

مرة أخرى لاحظت تلك الغرابة في لهجته، وسألت نفسها عما إذا كان من الممكن أنه يحاول أن يقنع نفسه انها لن تتخلى عنه يوماً ما.

وأمعنت التفكير بهذا لعدة أيام، أحياناً كانت تلتقط أنفاسها أمام فكرة أنه يحبها... ولكن من المؤكد أن مثل هذا الرجل ليس قادراً على الحب!... ذلك التعبير القاسي الذي يقرب من التحجّر والذي غالباً ما ينتشر كقناع على وجهه، وهاتان العينان السوداوان القادرتان على الإيحاء بسيماء الجمرة الملتهبة عندما تعكسان غضبه الداخلي، وتلك المشية المتغطرسة، التي ورثها من اسلافه النبلاء، وذلك الجو من التفوق، وذلك الطبع البارد، والتحكّم بطريقة الكلام. لا... رجل له كل هذه الخصائص الصدامية، لا يمكن له أن يعرف ما هو الحب. وجاءتها نبرة صوت رامون الناعمة الواضحة المتكلفة لتوقف بلطف حبل أفكارها:

- بماذا تفكرين يا عزيزتي.

وابتسمت لنفسها لأنها تصوّرت رد فعله لو أنها كشفت له عما تفكّر به. وكانا في السيارة، وقد خرجا ليلقيا نظرة على الأعمال الجارية على الشاطىء. وكان العديد من الرجال الآن في الموقع، كان بعضهم يضع العلامات لمجمعات الأبنية للبيوت ذوات الطابق الواحد التي ستشغل منطقة التلال الحرجية، ما بين «السييرا» والبحر، وكان آخرون، يفرّغون المواد، وآخرون يقيسون المسافات لإرساء الأساسات. بركة السباحة وضعت علاماتها، وكان مقرراً أن يظللها شجر النخيل من أحد جوانبها، مع مساحات مفروشة بالنباتات الاستوائية تحيط بها على بعد مسافة

ما، وباحة مرصوفة توفر مكاناً بهيجاً للمظلات التي سيوضع تحتها طاولات تقدم عليها المرطبات. وسيكون هنا نوافير تضاء أثناء الليل، وعرائش ظليلة للجلوس. ولن يكون هناك سوى فندق واحد هو «الفيانكا» بأجنحته المصممة بفخامة ومطعم وحيد.

- بماذا تفكرين يا لورين؟

- بماذا أفكر؟ كنت أتمتع بالمناظر، لا أكثر.

- هذه كذبة صغيرة، ولكن لا عليك. طالما ذكرت مناظر الريف، هناك منظر رومانسي جميل هنا، ويجب أن أريك إياه، حالما يبدأ العمل هنا سوف آخذك إلى كل مكان.

وبعد الصمت الذي خيّم عليهما في السيارة تكلّمت لورين لتشكر رامون لعرضه عليها أن يأخذها في هذه الجولة. وقال لها بعد فترة:

- هل بدأت تستقرين الآن يا لورين؟

- أستقر؟

- أريدك أن تكوني سعيدة. ومرتاحة البال.

ولم تجبه، إذ لم تعرف بماذا تجيبه. لأنها تعرف جيداً أنها لن تكون سعيدة ومرتاحة البال، لأنها ترغب أن يكون هناك حب في حياتها.

- أنوي أن أكتب إلى شقيقتي، إذا قبلت دعوتي لزيارتنا هل تمانع؟

- أنا لا أحب شقيقتك، وهذا طبيعي! على كل لن أنكر حقك بدعوة عائلتك، وأصدقائك، لزيارتنا، كم أنت متسامحة.

www.liilas.com/vb3

- إنها شقيقتي الوحيدة، وليس لي أشقاء، وليس من المعقول أن نفقد الصلة بيننا.

- واجبها هي أن تكتب إليك يا لورين.

- ربما كان كبرياؤها يمنعها.

- الكبرياء لا مكان له في وضع كهذا.

- كنت أتساءل إذا كان والدي يستطيع الحضور هنا، عندما كتب لي آخر مرة قال إنه يشعر بتحسّن أكثر.

- شقيقتك تلك كانت ستقتله. تستحق أن تجلد جيداً.

- إذاً سأكتب لها، وأطلب منها أن يأتيا هنا. هل تفضل وقتاً محدداً؟

- بمقدورهم الحضور في أي وقت يناسبك يا لورين.

وصلت فيليس إلى القصر لوحدها، والدها قال إنه سيحضر في وقت لاحق من تلك السنة، ولم تغضب لورين لأنها تعرف أن والدها يفضل أن يأخذ إجازته في أوقات متأخرة، لأنه لا يحب الزحام، ولقد اعتاد على هذا. سيكون معها في الخريف أو أوائل الشتاء. وأمضت فيليس أسبوعاً وهي تجلس مع لورين في الشمس وتشربان المرطبات المثلجة، وقالت لها فيليس:

- إنه قدرك لأن تتزوجي الثراء.

لم يكن في لهجتها أي تعبير، ومع ذلك اضطربت لورين. لقد أرادت بائسة أن تكسب شقيقتها بحيث أنها لم تفكر كيف سيتم هذا!! وبدت هذه الدعوة وكأنها الجواب، غصن الزيتون الذي مدّته لها ولكن الآن وبعد أسبوع من استقبال لورين وزوجها لها

بالترحاب وتوفير كل الراحة لها، ولم يسمحا ولا للحظة بإعادة ذكرى الماضي، تشعر لورين الآن بشيء من عدم الراحة.

وأخذهما رامون لزيارة «سيڤيل» و «مالاغا» وخرجتا لتناول العشاء عدة مرات، وفي إحدى المناسبات عندما كانت الشقيقتان تشتريان بعض الأشياء قابلتا دون دياغو، الذي نظر إلى عيني فيليس عندما عرفته بها لورين، ثم أعاد كل اهتمامه إلى لورين. وعلقت فيليس على هذا:

- إنه مفتون بك..

وفكّرت لورين، لماذا، وهي وفيليس متشابهتين، أعطاها دون دياغو هي دون فيليس كل اهتمامه. وردت عليها لورين:

- لديّ انطباع إنه شخص عابث، إنه مثال كامل للأعزب المستهتر.

- لم يكن يبدو كثير الرغبة بالعبث معي، لا زلت لا أعرف ما تملكين مما لا أملكه.

دخلت لورين بعد أن ارتدت ثيابها إلى الجناح الذي تقيم فيه فيليس وقالت لها: «هل أنت مستعدة» لورين ستأخذها لرؤية المشروع الجديد، وكانت قد وصفته لها وأبلغتها أن «الفيانكا» ستصبح لها بعد انتهائها، كما أخبرتها عن مشاركتها بالمشروع ككل. مؤكدة أنه من الأفضل لها أن تنشغل بهذه الطريقة من أن تقضي أيامها تفكر. وقالت لها فيليس عندما كانتا في طريقهما، وسائق رامون يقود السيارة.

- يبدو لي أنك الآن راضية بالصفقة التي عقدتيها.

www.liilas.com/vb3

ـ صفقة؟ لا أعرف ماذا تعنين؟

ـ لقد خسرت روجر، ولكن انظري ماذا ربحتي؟

ـ هذا قول غير لائق يا فيليس.

ـ هل تتذكرين أنني قلت مرة انه من السهل الوقوع في حب دون رامون؟

ـ أجل أتذكر. ماذا تحاولين بالضبط أن تقولي، يا فيليس؟

ـ أنت تحبينه أليس كذلك؟

وساد الصمت. لورين التقطت أنفاسها لحظة خروج الكلمات من شفتي شقيقتها.. أحبه... الجاذبية، عدم القدرة على مقاومة رامون منذ البداية، حتى في حفلة خطوبتها سمحت لرامون أن يغازلها. لقد سألت نفسها بالطبع كيف ولماذا حدث ذلك الأمر، وخرجت بالجواب الوحيد المناسب: الانجذاب الجسدي. ولكن هل هو فعلاً الجاذب الجسدي لوحده؟ وقالت فيليس.

ـ حسناً، هل تحبينه؟

وابتلعت لورين ريقها الذي تجمّع فجأة في حلقها. وحاولت الكلام، حاولت التلفظ بكذبة ما. ولكنها وجدت نفسها تقول والكثير من عدم التصديق والحيرة في نبرتها.

ـ أجل يا فيليس، أنا أحبه.

خرجت الكلمات أخيراً، وبدت غريبة على أذنيها... ولكن وقعها كان يحمل كل الحقيقة... الحب... القدر، أو كما كان رامون يقول دائماً «القسمة»... وعندما سمعت شقيقتها تقول

بعد بضع لحظات من الصمت تسألها عما إذا كان رامون يحبها، استطاعت أن تقول وهي تشعر بالفرح في قلبها:

ـ طبعاً... إنه يحبني!

وصلتا إلى مكان المشروع. وتطلعت فيليس بتعبير شاذ إلى واجهة البناء الجميلة حيث كان الرجال ينظفون الفيروز الأخضر الذي يزيّنها، ثم قالت:

ـ وهذه ستكون لك؟ إنها تساوي الملايين!

ـ أنا لست مهتمة بالحقيقة كم تساوي، فأنا مهتمة أكثر بتحويلها إلى شيء جميل حقاً. ويجب أن تعترفي أن لديّ الآن أساس رائع لأبرز فيه قوى الخيال عندي.

ـ حياتك لن تكون بنصف الأهمية لو أنك تزوجت روجر.

ـ من الأفضل أن نعود. رامون يتوقع أن أشاركه شرب الشاي بعد الظهر.

ونظرت لورين إلى شقيقتها التي كانت منذ لحظات تتكلم مع أحد العمال، وشيء ما دفع لورين لتسأل:

ـ هذا الرجل... ماذا كنت تقولين له؟

ـ لا شيء تقريباً. كنت أسأله حول البناء، وكيف يبدو بعد انتهائه.

ـ لا يعرف هذا، حتى رامون لا يعرف، ليس بعد. يجب أن نقوم بالكثير من التصميمات أولاً.

ـ هذا واضح.. لنخرج من هذا الاتجاه، عبر الشرفة الصغيرة ثم ننزل السلم إلى الباحة.

ـ حسناً.

www.liilas.com/vb3

كانت فيليس تتحدث إلى ذلك الرجل على تلك الشرفة الصغيرة وعندما غادرتا الغرفة وانتقلتا إلى مسافة قريبة تقود إلى الشرفة أزاحت لورين قليلاً لتسمح لأختها بالخروج قائلة: «هل تخرجين أولاً»؟

ـ لا اخرجي أنت أولاً.

وخرجت لورين، وهي تنظر حولها متوقعة أن تلحق بها شقيقتها بعد ذلك... عدة أشياء حدثت فجأة ومعاً. فالأخشاب بدأت تتهاوى تحت قدميها، وكان صوت العامل كالرعد يحذّرها، وصرخة شقيقتها اختلطت معه.

ـ لورين ارجعي، قلت لك انه ليس آمناً! آه لقد حذّرني العامل، وأخبرتك بهذا...

ولم تعد لورين تسمع المزيد، وطوحت بذراعيها بمحاولة جاهدة ومرعبة لتتمسك بأي شيء، وسقطت بعنف إلى أرض الباحة الحجرية.

وأفاقت في المستشفى، وزوجها بقربها وتطلعت حولها دائخة لدقيقة كاملة قبل أن يعود كل شيء يقتحم ذاكرتها. وجعلها هذا ترتعد، فصرخت وهي تحاول النهوض:

ـ فيليس... هل هي... هل هي؟

ـ إنها سالمة بما يكفي!

لماذا صوت زوجها قاس هكذا؟ ولماذا يبدو كل شيء يهتزّ ثانية؟

ـ آه... نعم...

ومن خلال الغشاوة نفذ شعاع آخر من الذكرى إلى وعيها.

ـ لم تلحق بي، أليس كذلك؟

ولم يرد عليها رامون، فقد بدا مهتماً أكثر بالإمساك بيد زوجته والنظر بقلق عميق إلى وجهها الشاحب

ـ حبيبتي... يا حبيبتي الحلوة العزيزة... لقد عدت إلى وعيك أخيراً!

ـ أخيراً؟

وبدأ الضباب ينجلي عن عينيها، واستطاعت أن ترى وجه زوجها بوضوح أكثر الآن. أين ذهبت سمرته الجذابة؟ ربما كان الأمر عائد لتعب في عينيها، فقد بدا وجهه رمادياً... ثم أن السبب هو الإضاءة هنا؟

ـ لقد كنت غائبة عن الوعي لمدة طويلة يا حبيبتي؟

كانت تريد أن تتكلم، ولكن الطبيب والممرضة وصلا قرب سريرها، وكان رامون يغادر الغرفة، لم تكن تريد في أن يغادر...

ـ بالوقت المناسب يا سيدتي الصغيرة، لقد أرعبت زوجك، وكلنا، بسبب ما حصل.

واستمع الطبيب إلى نبضها، وأخذت الممرضة تتكلم مع الطبيب بالإسبانية، ثم غادرا الغرفة ليدخل رامون، وأخذ يدها بشدة ووضعها بالقرب من قلبه.

www.liilas.com/vb3

- هل أصيب رأسي؟ هناك الكثير من الأربطة عليه. رامون... كان الأمر مريعاً!

وأرادت أن تبكي حتى تزيل الغمام من وراء عينيها.

- أجل يا حبيبتي كان الأمر مريعاً. لو أنني علمت أن الشرفة لم تكن آمنة، ولكن الرجل لم يكتشف أن الأرضية بالية سوى قبل دقائق من وصولك مع فيليس. لقد حذر الرجل فيليس وقالت إنها ستحذرك، ولكنني أعلم أنها لم تفعل...

وفقدت لورين الوعي مرة ثانية...

ولكن بعد ليلتين عادت إلى منزلها، وكان جميع من في القصر قلق عليها، لأنهم توصلوا إلى أن يحبوها بمثل القدر الذي يحبون فيه رامون، الذي أمضى الكثير منهم أكثر من عشر سنوات في خدمته. والشخص الوحيد الذي كان أكثرهم قلقاً كان بالطبع زوجها المحب. الذي وأثناء عودتها إلى الوعي في المرة الثانية سألها إذا كانت تعلم بأنه يحبها.

- طبعاً أعرف. لقد قلت لفيليس انني احبك!
- لقد قلت لك أن ذلك مقدّر ليكون.

وبعد أن وضعت على كرسي في ضوء الشمس على الشرفة أتى إلى قربها وجلس، وهو ينوي قضاء كل بعد الظهر معها، في الجو الساحر لمنظر الحديقة.

- لقد قلت لك إنها «القسمة» أتذكرين؟

لهجته كانت نابضة بالحياة، ولكن مليئة بالحنان بدلاً من الشغف، وفي عينيه السوداوين كان يومض ضوء لم تره من قبل.

- لقد أردت لعدة مرات أن أقول لك انني احبك، لأخبرك أن الحب والحب وحده هو ما جذبني إليك، ولكنك لم تكوني تحبني. وأكثر من ذلك، كنت واقعة بوهم أنك تحبين روجر...

وتوقف يائساً، وفكرت بأن هذا الجزء من شخصيته لا يتناسب بدءاً مع الجزء الآخر من تلك الشخصية التي اعتادت عليها. لقد عرفت أن هذا المزاج هو الذي سيصبح من الآن وصاعداً المزاج المألوف بدلاً عن الأمزجة المختلفة التي عرفتها من قبل.

- لقد قلت انه سيأتي يوم تحبيني فيه يا زوجتي الحبيبة!

- أجل.. لقد قلت انه سيأتي يوم احبك فيه، ولمرة واحدة كنت على خطأ.

- على خطأ، ما هذا... قولي لي؟

- لقد قلت انني سأحبك، وهذا يعني يوماً ما.

- وماذا في ذلك؟

- اعرف الآن أنني احببتك منذ البداية يا رامون. لقد كنت واقعة في وهم انه انجذاب حسي الذي أشعر به نحوك، وكنت أخجل منه. ولكنه كان الحب وليس الرغبة، لقد كان حباً من النظرة الأولى، وكما قلت انت انه مقدر علينا أن نلتقي.

وكان قريباً منها فأخذها بلطف بين ذراعيه، وأراحت رأسها على صدره، وسمعت دقات قلبه، تدق سريعاً. وقالت بسرعة إنه

www.liilas.com/vb3

أحب الناس رامون» وحركت نفسها قليلاً لتصبح الرباطات مريحة اكثر وقالت:

ـ أحبك... للأبد.

ـ وهل سامحتني... لتلاعبي عليك؟

وكان السرور بادياً في صوته، ولمحة من الانتصار.

ـ أشكرك على خدعتك.

ولأنه الرد الذي كان يشتهي سماعه، فقد فاجئها بعناق طويل استمر طويلاً، طويلاً.

فراشة المحبة

www.liilas.com